قصص عالمية

د وستويفسكي
ماكسيم جوركي
ادجار الن بو
جي دي موباسان

جرازيا دليدا
أنطون تشيكوف
شارلز ديكنز
كاثرين مانسفيلد

ترجمة
محمد فتحي عبد الوهاب

دار الشروق الأدبي

قصص عالمية

ترجمة

محمد فتحي عبد الوهاب

دار المحرر الأدبي

obeikandl.com

ذلك الرجل!!

جبريل دانونزيو

كان قصير القامة ممشوقها، تنوء رقبته برأس ضخم يميل قليلا إلى اليسار، وقد اكتسى هذا الرأس غابة كثيفة من الشعر الكستنائي المسترسل إلى كتفيه في تجعدات والتواءات، تلعب به الريح لعبها بعرف الجواد، ولحية كثة كلحية المتقشفين، تركها دون تهذيب وقد تراكمت عليها ندف صغيرة من القش. وكانت عيناه تتطلعان دائما إلى موقع قدميه العاريتين، حتى إذا ما رفعهما ظهر فيهما الغموض والابهام، ولاح فيهما الرعب، أو بدتا كما لو كانتا عينني مخبول تارة، أو رجل محموم تارة أخرى. أو تشهد فيهما ما يجعلك تفكر في الماء الأخضر الآسن الراكد في حفرة ضيقة، أو في وميض السيف اللامع.

كان يرتدي سترة قديمة حمراء، قد ألقى بها على كتفيه كأنها المعطف. وكان الناس يروون عنه شتى الأقاصيص، ويتحدثون عن حب، وخيانة، واعتداء، وهروب. . .

كنت في سن الثالثة عشرة عند ما قابلته أول مرة، فجذبني منظره. وكان ذلك في يوم من أيام الصيف الحارة والميدان الكبير تغمره الشمس، وقد أقفر إلا من بعض الكلاب تتسكع هنا وهناك، والسكون مخيم على المكان، اللهم إلا من ذلك الصرير الممل لعجلة السنان. وكنت قد اعتدت الوقوف برهة أراقب ذلك الرجل من خلف مصراعي نافذة غرفتي، فأراه يسير في بطئ تحت شمس الظهيرة، يختال في جو من العظمة، أو يزحف قرب الكلاب في هدوء حتى لا تلاحظه، ويلتقط حجرا يقذفها به في خفة ثم يهرب متظاهرا بأنه شيء غير منظور، فتقبل عليه الكلاب وتلتف حوله وهي تبصبص بأذنابها، فينظر إليها ثم ينفجر ضاحكا ضحكات قصيرة صبيانية فأشاركه ضحكه.

وفي ذات يوم تمالكت شجاعتي، وأطللت برأسي من النافذة ثم ناديته. فالتفت إلى في سرعة ثم ابتسم، والتقطت زهرة من الأقاصيص قذفت بها إليه، ومنذ ذلك الحين أصبحنا صديقين.

وفي مساء يوم سبت كنت واقفا على الجسر وحيدا أراقب حركة أسطول الصيادين وهو راجع من الصيد. كانت شمس يوليو البديعة تغرب، وقد احمرت السماء بالسحب

الذهبية، وتوهج النهر الجاري صوب البحر وارتعشت أمواجه في تلألؤ زاه. وكانت الضفاف تحت الهضبات تلقى على الماء فتنعكس الأشجار، وتظهر قممها كأنها نائمة على صفحة الماء في ذلك الجو الحار. وجعلت القوارب تلقى مراسيها في بطئ وقد طوت أشرعتها البرتقالية الكبيرة ذات الخطوط الزخرفية السوداء. وابتدأت تفرغ حمولتها من السمك. وسرت الريح تحمل أصوات النوتية ورائحة الصخور.

والتفت فجأة ورائي فرأيت الرجل واقفا يتصبب عرقا، وقد أخفى يده اليمنى وراء ظهره، وأضاءت فمه ابتسامته الصبيانية المعهودة. فصحت اهتف باسمه وأنا أمد يدي المتخاذلة إليه في سرور. وتقدم نحوي وقدم إلى بيده التي كان يخفيها باقة أنيقة من الخشخاش الأحمر وسنابل القمح الذهبية. فصحت وأنا أتناولها منه (أشكرك، أشكرك، ما أجملها...)

وسحب يده على حاجبيه، وجعل يمسح العرق المتساقط ثم ينظر إلى أصابعه المبللة ثم إلي، وأخيراً ضحك وقال (إن الخشخاش الأحمر ينمو بين القمح الأصفر هناك في الحقول،

فرأيتها وأحضرتها لك فقلت لي) ما أجملها (وكانت الشمس كالنار).

كان يتكلم في خنوع، ويقف بين كل كلمة وأخرى كأنه يحاول أن يتبع خيط أفكاره. أم آلاف الصور المبهمة المضطربة كانت تتجمع في ذهنه. فيحاول أن يبززها ويتشبث باثنتين أو ثلاثة منها، تلك التي كانت أكثرها ثبوتا وأوضحها صورة، وتهرب منه الصور الباقية. كنت الحظ ذلك في عينيه فأتعجب. وكأنه شعر بما يجول في خاطري، فأدار رأسه صوب قوارب الصيد وقال وهو يفكر:

- هذا الشراع، إنه شراعان، واحد في الهواء، وواحد في الماء.

كان لا يدرك أن الشراع الأسفل انعكاس الشراع الأعلى على صفحة الماء. فجعلت اشرح له ذلك قدر امكاني، فاستمع إلي في ذهول، ثم ابتسم وتطلع إلى الأشرعة.

وسقطت زهرة من الخشخاش في النهر، فراقبها حتى اختفت مع التيار، ثم قال في صوت حزين لا يوصف (لقد رحلت بعيدا، بعيدا جدا (وكأنها شيء عزيز لديه).

وبعد لحظة من الصمت سألته (من أي قرية أتيت؟)

فالتفت صوب السماء يتطلع إلى صفاء لونها الزبرجدي. كانت الجبال القاتمة تظهر أمام الأفق كأنها جبار راقد. وامتد الجسر الحديدي فوق النهر يقطع السماء إلى صور صغيرة، وظهرت خلفه الأشجار الخضراء وقد استحالت إلى أشباح قاتمة. واختلطت ضحكات الجنود في الثكنات بصوت البوق.

وأخيراً قال (كان عندي منزل ابيض، نعم كان كذلك، تحفه حديقة كبيرة من الفواكه. لقد اعتادت تريزا أن تحظر في المساء. كانت جميلة، أن عينيها... ولكن...)

وكف عن الكلام وقد ظهرت على هينيه الكآبة. ولكن سرعان ما عاد إلى هدوئه، ثم انحنى لي، وسار مبتعدا عني وهو يغني.

ومنذ ذلك الحين كنت كلما أراه يمر في الطريق أناديه وأجود له ببعض الطعام. وفي ذات مرة قدمت إليه القليل من النقود الذي أعطيتني إياه والدتي، ونظر إلي في صرامة، ثم دفع بها إلى في احتقار ظاهر، وأخيراً أدار ظهره ومشى دون أن يلتفت إلى.

وفي ذلك المساء قابلته خارج الميناء الجديد، فتقدمت إليه قائلا:

- سامحني، سامحني.

فهرب كأنه حيوان جافل، وفي لحظة كان قد اختفى عن أنظاري بين الأشجار. ولكن في صباح اليوم التالي كان ينتظرني على باب داري، وابتسم في شجاعة، ثم قدم إلى ياقة يانعة من زهور المرجريت. كانت عيناه محضلتين بالدموع، وشفتاه ترتعشان. . . وعادت المياه إلى مجاريها.

وفي ذات مرة، في أواخر شهر أغسطس، كنا جالسين في نهاية الطريق وكانت الشمس قد توارت بالجبال. وقد امتدت أشجار الصنوبر حتى البحر، وابتدأ القمر يرتفع في بطئ في عنان السماء بين السحب القاتمة. . .

ونظر إلى القمر ثم تمتم قائلا (انظر! الآن تستطيع أن تراه. . تستطيع أن تراه)

وجعل يتأمله لحظة ثم قال (ذلك القمر! إن له عينين وأنفاً وفما كالبشر، لست ادري ما الذي يفكر فيه. من يدري؟)

ثم جعل يدندن أغنية ذات لحن حزين، من تلك الأغنيات التي يرتلها الأهلون عند قطف الكروم في ليالي الخريف الحارة. وكان يلوح لنا عن بعد مصباحا قطار قادم في سرعة،فظهرا كأنهما عينا وحش تحدقان فينا. ومر القطار

يهدر ويتعالى دخانه وصفيره عند عبوره الجسر الحديدي، وعاد الصمت يخيم تدريجيا على الأرض الشاسعة.

ووقف الرجل على قدميه وصاح وهو يشير إلى القطار المبتعد (اذهب، اذهب، اذهب، بعيدا، بعيدا، انك تنساب كالتنين، والنار في داخلك، النار التي وضعها فيك الشيطان)

ولن أنسى ما حييت منظره وهو واقف في هذه اللحظة. . ولم يهدا انفعاله إلا بعد أن تلاشى صوت القطار وعاد الصمت يخيم على الطبيعة.

وعندما كنا في طريقنا إلى الدار كان لا يزال غارقا في أحلامه.

وفي ذات صباح جميل من سبتمبر ذهبنا إلى البحر. إن ذلك الاتساع السرمدي للماء الأزرق العميق كان ممتدا حتى الأفق المتألق، وكانت قوارب الصيد تبحر أزواجاً، فتظهر كأنها طيور هائلة الحجم مجهولة النوع، قد نشرت أجنحتها الصفراء القرمزية. وكانت الهضاب الرملية النحاسية ترقد على طول الساحل خلفنا وقد لاحت من ورائها الكتل الضخمة الخضراء من مزروعات شجر الصفصاف.

قال في صوت خافت وكأنه يخاطب نفسه في لهجة التعجب والشعور بالخوف (يا لهذا البحر الخضم الأزرق

الضخم! ويا لهذه الأسماك الضاربة المفترسة! إن (أراكس) هناك سجين في قفص من حديد، يصيح فلا يسمع أحد صيحاته. انه لن يرجع ثانية. وهذه السفينة السابحة في الماء، إنها تجلب الموت لكل من يشاهدها؟

ثم صممت. . واقبل على الشاطئ حتى غمرت الأمواج البيض الصغيرة قدميه. من يدري ما الذي كان يحدث داخل عقل المسكين الضعيف؟

وبينما نحن مقبلان على الدار وقد التزم الصمت طول الطريق نظرت إليه فاخبرني قلبي بأشياء غريبة.

وهمس أخيراً في صوت خافت وهو يأخذ بيدي (إن لك أما في منزلك ننتظر أو بتك لتقبلك) كانت الشمس تغرب في الماء الصافي خلف الجبال، والنهر يتلألأ بشتى الانعكاسات.

فسألته والدموع تتساقط من عيني وانت، اين والدتك؟) فنظر إلى عصفورين في الطريق، والتقط حجرا سدده كأنه بندقية في يده، ثم أطلقه عليهما، فوليا كأنهما السهام.

وصاح وهو يراقب طيرانهما في السماء اللامعة وهو يضحك في صخب (طيرا. . طيرا. .)

ومرت الأيام فلاحظت فيه تغيرا، كأنما أصابته الحمى. كان ينطلق مسرعا إلى الحقول كأنه الجواد حتى يقع على الأرض مبهور الأنفاس، أو يرقد الساعات مفترش الثرى دون حراك يحدق بعينه في وهج شمس الظهر المحرقة. وعندما يقبل المساء كان يلقى بمعطفه الأحمر على كتفيه ويتنزه جيئة وذهابا في الميدان، يختال في خطوات طويلة بطيئة كأنه عظيم إسباني. وكان يتحاشاني، ولا يجلب لي الزهور. وتألمت لهذا الهجر. كان الناس يدعون بأنه سحرني. وفي ذات صباح ذهبت قاصدا لقياه. ولكنه لم يرفع عينيه، بل احمر وجهه كأنما مسته نار. فصحت في اضطراب (ما الأمر؟)

- لا شيء،
- بل هناك شيء.
- لا شيء.
- هذا غير صحيح.

ولاحظت انه ينظر أمامه بعينين متقدتين، فالتفت، فوجدته يتطلع إلى فتاة ريفية حسناء واقفة أمام مدخل حانوت.

وتمتم وقد شحب لونه: (تريزا) ففهمت إن الرجل المسكين كان يتخيل في هذه الفتاة غادة بلدته التي أثرت على قواه العقلية.

وبعد يومين قابلها في الميدان، فاقترب منها مبتسما وهو يقول: (إنك أكثر جمالا من الشمس. فلطمته بقوة على وجهه)

كان هناك بعض الصغار بالقرب منهما، فجعلوا يسخرون منه بعد أن تركته الفتاة وحيدا مصدوماً باهتاً، وابتدأت بقايا الخضر تطير فترتطم في وجهه. والتفت إلى الصبية، وهدر كالثور الجريح، ثم أمسك بواحد منهم وألقاه على الأرض كأنه من الأسمال.

ورأيته، يمر أمام نافذتي بين أيدي اثنين من رجال الشرطة مقيدا، والدم يسيل من لحيته منحنى الظهر، مرتعش الجسد، والناس من خلفه يضحكون ويسخرون. نظرت إليه فامتلأت عيناه بالدموع.

وكان الحظ قد واتاه، فان الصبي لم يصب إلا بجروح يسيرة، وخرج من السجن بعد يومين

مسكين ذلك الرجل! كان قد تغير تغيرا تاما وأصبح مكتئب الوجه لا يثق في أحد، غضوبا وكنت أراه في بعض

الأحيان ينفلت مساء في سرعة كبيرة كأنه الكلب، ويختفي في طريق مظلم قذر.

وفي ذات صباح مشرق الشمس صافي السماء من أكتوبر وجدوه على خط السكة الحديدية بجانب الجسر وقد تمزق إرباً حتى أصبح كتلة دامية مشوهة من اللحم، وانسحب إحدى ساقيه مع عجلات القطار الذي دهمه إلى مسافة بعيدة، وظهرت عيناه الخضراوان في رأسه المقطوع الذقن المصبوغ الشعر بالدم القاني، تحدقان في رعب هائل

مسكين ذلك الرجل! كان يود أن يشاهد القطار عن قرب، ولكنه كان يبتعد ثم يبتعد - كما يقول - ذلك الوحش الطويل ذلك التنين الذي بداخله النار التي وضعها الشيطان!

obeikandl.com

المنبوذة

جي دي موباسان

عندما دخلت استراحة المسافرين بمحطة لوبان؛ صوبت أولى نظراتي إلى الساعة، فرجدت أنه لا يزال أمامي متسع من الوقت حتى يصل قطار باريس السريع. وشعرت فجأة بالإجهاد كأني قطعت عشرة فراسخ سيراً على الأقدم. فنظرت حولي لعلي أرى على الجدران ما أقتل به الوقت فلم أجد شيئاً. فخرجت ووقفت أمام مدخل المحطة، وأنا أقلب الفكر فيما يرفه عن نفسي إلى أن يصل القطار.

كان الطريق أمامي قد نمت على جانبيه أشجار الفتنة بين صفين من مختلف المنازل الصغيرة، وقد ارتفع الطريق صعداً؛ فبدت نهايته كأنها حديقة بعيدة.

وكان مقفراً إلا من هرة تتسكع في الطريق في خفة، وكلب يسرع في مشيته يشتم قوائم الأشجار باحثاً عن فضلات الطعام. . .

واجتاحتني موجة حزينة من الشعور بالخيبة. ما العمل. .؟ ما العمل؟ وجدت أنه لا مفر لي من الانتظار الممل بمقهى المحطة الصغير. وتصورت نفسي جالساً وأمامي قدح من الخمر لم تمسه شفتاي، وجريدة محلية عافت نفسي قراءتها، عند ما بدت أمامي جنازة قادمة من شارع جانبري لتخترق ذلك الطريق أمامي.

شعرت عندئذ أن منظر مركبة الموتى قد فرج عن نفسي.

لقد ربحت على الأقل عشر دقائق من فراغي الطويل. وتضاعفت فجأة انتباهي عند ما شاهدت الميت لا يشيعه سوى ثمانية رجال كان أحدهم يبكي في حرارة والآخرون يثرثرون ويتحدثون أثناء سيرهم. ولم يشترك في الجنازة أي قس. ففكرت وأنا أخاطب نفسي (هاهوذا دفن مدني) ولكن سنح لي خاطر: ما بال المئات من ذوي الأفكار الحرة الذين يعيشون في البلدة لا يشتركون في إبداء شعورهم في مثل هذه المناسبة؟ إن سير هذه القافلة السريع قد دل على أنهم سيدفنون الفقيد دون احتفال ديني.

ودفع بي فضول إلى افتراض فرض معقد بعيد. ولكن؛ بينما كانت المركبة تمر أمامي، إذ بفكرة تنبعث في خاطري هي أن أشيع المركبة مع هؤلاء المشيعين وبذلك أشغل من

وقتي الضائع ساعة على الأقل؛ فسرت وأنا أتظاهر بالحزن خلف الآخرين.

والتفت آخر اثنين منهم إلي في دهشة، ثم تحدثا في صوت خافت. فاعتقدت أنهما يتساءلان عن سبب وجودي وأنا الغريب عن هذه البلدة. ثم استتارا الاثنين اللذين أمامهما؛ فالتفتا ناحيتي يتطلعان أليَّ في فضول. فضايقني ذلك الأمر، وعزمت على أن أضع حداً له؛ فاقتربت منهم، وقلت بعد أن بادلتهم التحية: (أرجو المعذرة أيها السادة إذا كنت قد قطعت عليكم حديثاً، ولكني عندما شاهدت الجنازة دفعت نفسي إلى اللحاق بها دون سابق معرفة بالفقيد الذي تشيعونه)

فرد أحدهم قائلا (أنها فقيدة).

فدهشت، وسألت: (إذن هي جنازة مدنية، أليس كذلك؟).

فأجاب آخر يشرح لي قليلا: (نعم، ولا. أن القس رفض أن ندخل بها الكنيسة).

فبدرت مني آهة من الدهشة لأني لم أفهم ما يعني.

فصرح قائلاً في صوت خافت: (إنها قصة محزنة. إن هذه الشابة قد انتحرت. وهذا هو السبب في عجزنا عن إجراء الطقوس الدينية قبل دفنها. إن من تراه يبكي هنا هو زوجها)

فقلت بعد تردد (إنك لتدهشني وتثير فضولي. هل أنتهك سرا إذا ما رجوت أن تقص على هذه القصة؟ إذا كنت تشعر بأن ذلك فضولا مني فاعتبر كلامي كأن لم يكن).

فأخذ الرجل بذراعي دون كلفة وقال: (كلا. . ليس ما يمنع أن أسرد عليك وقائعها. فلنبطيء في السير قليلا حتى نكون آخر المشيعين، ولدينا من الوقت ما يكفي للسرد قبل أن نصل إلى المقبرة عند الأشجار التي تشاهدها هناك)

ثم طفق يحدثني قائلا (تصور أن هذه المرأة الشابة السيدة بول هامون كانت ابنة أحد التجار الأثرياء السيد فونتانلي. وكان قد حدث لها حادث رهيب وهي في سن الحادية عشرة. لقد اعتدى عليها خادم، وكادت تموت خزيا وعارا من ذلك الحادث الأليم. وأظهرت المحاكمة الرهيبة أن تلك المسكينة كانت ضحية ذلك الوحش مدة ثلاثة أشهر. فحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة.

ونمت الفتاة الصغيرة وقد تلطخت بالعار، منبوذة، وحيدة، بلا رفيقات ولا عطف وأصبحت أمام الأهلين كأنها مسخ أو أعجوبة من الأعاجيب. كانوا يتحدثون عنها في همس،ويتكلمون عن (الصغيرة فونتانل) في غمز، ويديرون ظهورهم عند رؤيتهم لها في الطريق. حتى المربيات، كان

أكثرهن يأبين الالتحاق بخدمتها. وكانت العائلات تبتعد عنها كأنها وباء تخشى أن تنشره الفتاة فيسري إلى من بالقرب منها.

أي شفقة تعتريك لو كنت قد شاهدت هذ الطفلة المسكينة وهي تراقب الأولاد يمرحون ويلعبون في الساحة بعد ظهر كل يوم. كانت تجلس وحيدة أو تقف بجانب خادمتها تشاهد حزينة ما يحدث دون أن تشترك مع الأولاد في لهوهم. وعندما كانت تنتابها نزوة من الأغراء لا تقاوم، كانت تتقدم في خجل وخوف وتدخل في زمرتهم في خطوات مترددة، وكأنها شاعرة بعارها. وسرعان ما ينهض الأمهات والعمات والمربيات من مقاعدهن ويأخذن بأيدي الأولاد ويجذبنهم بشدة بعيدا عنها، وتبقى الصغيرة فونتانل وحيدة، والهة القلب، مذهولة، ثم تنفجر باكية وقد امتلأ قلبها شجنا، وأخيراً تسرع إليها خادمتها تخفي وجهها المخضل بالدمع في مئزرها.

وكبرت الفتاة وازدادت حالتها سوءا. وكان الناس يحولون بينها وبين مثيلاتها من الفتيات كما لو كانت مصابة بالطاعون. ولم يكن لدى الفتاة شيء تتعلمه، لا شيء البتة. لقد قُطفت الثمرة المحرمة قبل أوانها وامتلأ جسمها

بالأنوثة قبل أن يحين ذلك الوقت الذي تحاول فيه كل فتاة أن تقرأ المستقبل المجهول في وجه الرجل ليلة الزفاف.

كانت كلما عبرت الطريق بصحبة مربيتها، ينظر إليها الناس وهم في خشية منها، فتغض الطرف شاعرة بالعار الذي يثقل كاهلها. وكانت الفتيات الساذجات الغريرات يتغامزن عند رؤيتها في خفية، ويحولن أنظارهن عنها كلما التقت أعينهن بعينيها.

وكانوا قليلا ما يحيونها، ويتظاهرون بعدم رؤيتهم لها. حتى الصبية كانوا ينادونها (مدام باتست) اسم ذلك الخادم الذي اعتدى على عفافها.

كانوا لا يعرفون مقدار العذاب الذي تعانيه هذه الفتاة. فقد كانت قليلة الكلام لا تبتسم مطلقاً. حتى أهلها، كانوا يضيقون بها كأنهم يحقدون عليها من جراء تلك الهفوة الشنعاء. إن الرجل الفاضل لا يمد يده بمحض ارادته إلى المجرم الذي أُفرج عنه، ولن كان ابنه، أليس كذلك؟ وعامل السيد والسيدة فونتانل ابنتهما كأنها من طريدات السجون.

كانت جميلة، شاحبة اللون، ذات قامة هيفاء، وسمت وقور. ولو لم يكن ذلك الحادث لكنت من المعجبين بها.

ولما قدم الحاكم إلى البلدة بعد غياب ثمانية عشر شهراً استحضر معه سكرتيراً خاصاً، وهو شاب غريب الأطوار كان يعيش في الحي اللاتيني بباريس. فرأى الآنسة فونتانل وأحبها. وقصوا عليه قصتها فلم يأبه بها؛ بل قال إن ذلك يضمن مستقبلها.

وغازلها ثم طلب يدها وتزوجها. وكان لا يخجل من التزاور معها؛ فكان البعض يرد الزيارة، والبعض يحجم عنها.

وسار الحادث مع الزمن في طريق النسيان، وأخذت السيدة مقامها في المجتمع. وكانت تعبد زوجها كما لو كان إلهاً. أم يرد إليها شرفها؟ ألم يقاوم المجتمع ويكافح الناس من أجلها، ويواجه الإهانات بسببها؟ لقد كان يقوم بدوره في شجاعة قل أن تجدها في الرجال.

وحملت فتفتحت أمامها الأبواب كأنما تطهرت تماماً بالأمومة، إن ذلك لشيء مضحك. ولكنها الحياة!

وسار كل شيء في طريقه العادي، حتى حانت حفلة البلدة السنوية، وأقبل الحاكم يحيط به سكرتيره وحواشيه وأصحاب الجاه لتوزيع الجوائز على المتسابقين، وأنت تعرف بالطبع ما يحدث من خلاف ومنافسة وغيرة بين الناس في

مثل هذه الحفلات، وما أكثر أن يفقد البعض رشدهم. كان كل سيدات البلدة قد حضرن لمشاهدة هذه الحفلة. وتقدم رئيس فرة الموسيقى لبلدة دي مورميون؛ فقلده بول هامون وساماً من الدرجة الثانية. فقذف رئيس الفرقة بالوسام في وجه السكرتير صائحاً (احتفظ به لباتست - فأنت مدين له ولي بوسامين من الدرجة الأولى).

كان هناك حشد كبير من الناس فسرعان ما ضجوا بالضحك كان جمهوراً خشناً غير مهذب، واتجهت كل الأنظار صوب السيدة المسكينة. أواه يا سيدي، ألم تشاهد قط امرأة جنت؟ لقد كنت بين الحاضرين في تلك الحفلة، وشاهدتها وهي تحاول النهوض فتسقط على مقعدها ثلاث مرات متتالية، كأنها تريد الهرب فيقيدها عجزها عن اختراق هذه الجموع المتكاثرة المحيطة بها. وسمعت صوتاً من جهة ما يصيح: (أهلا. . . أهلا. . . بمدام باتست) فضج بعض الناس بالضحك واشمأز البعض الآخر. وهبت عاصفة من الضوضاء والهرج، واهتزت الرؤوس وترددت الأصوات، وتطلعت الأنظار تشاهد وجه تلك التعسة، وحمل الرجال زوجاتهم على أذرعتهم ليشاهدنها، وتساءل الناس أيهن؟ أيه تلك التي ترتدي ثوباً أزرق اللون؟ وكان الأولاد يصيحون

صياح الديكة، وانفجر القوم يضحكون ضحكات عالية، ولكنها لم تتحرك من مكانها، كانت جالسة في ذهول على المقعد الوثير كأنها ساعة خصصت لهذه الحفلة تتطلع إليها الأنظار، ولم تستطع حراكا، ولم تتمكن من إخفاء وجهها. كانت جفونها تنطبق ثم تنفتح كأن هناك ضوءا باهراً يحرق عينيها. ولهثت كأنها جواد يصعد مرتفعا من الأرض. كان كل هذا يمزق قلبي تمزيقاً.

وأخذ السيد هامون برقبة رئيس فرقة الموسيقى ذلك الشخص الوقح وألقاه على الأرض وسط الضوضاء الهائلة. وتوقف الاحتفال، وبعد ساعة كان السيد هامون في طريقه إلى الدار برفقة زوجه. كانت مرتجفة الجسد صامتة لم تفه بكلمة واحدة. وفجأة تسلقت حاجز الجسر دون أن يتمكن زوجها من منعها، ثم ألقت بنفسها في النهر.

واستغرق إخراجها ساعتين من ذلك الماء العميق. كانت بالطبع قد فارقت الحياة).

صمت المتحدث لحظة ثم عاد بعدها يقول (ربما كان من الأفضل لها أن تصل إلى هذه النهاية المؤلمة. فإن هناك أشياء تحدث فلا يمكن محوها. وهأنذا عرفت الآن لماذا رفض القس أن يفتتح أبواب الكنيسة لها. فإنه لو كان الدفن دينياً لشيع

الجنازة كل أهل المدينة. ولكن ذلك الانتحار وتلك القصة الأليمة حملت العائلات على الاحجام عن تشييع الجنازة. ولذلك كان من الصعب أن يشيعها القس.

وعبرنا باب المقبرة؛ وانتظرت في تأثر بالغ نزول الناووس في القبر لأقترب من ذلك الشاب المسكين الذي كان يبكي وينتحب. وشددت على يده معزيا، فنظر إليَّ في دهشة من خلال دموعه ثم تمتم قائلاً: (شكراً يا سيدي، شكراً).

ولم آسف أبداً على اشتراكي في تشييع هذه الجنازة.

obeikandl.com

الأرنب
جرازيا دليدا

قامت الجزيرة الصغيرة وسط النهر العريض، وقد توسطتها بحيرة صغيرة، أو بالأحرى غدير تحيط به الأشجار والحشائش الطويلة الناعمة، مرصعة بأزهار عباد الشمس الأرجوانية، على صفحته كل صور الطبيعة، فظهرت أكثر جمالا وأرق خيالا.

وأضفى على المكان، حيث سماء الخريف المتجددة الألوان المتغيرة السحب نهاراً، وحيث البدر المضيء والنجوم المتلألئة ليلا، وأشباح الأفنان المتمايلة تنعكس على مرآة البحيرة العميقة، أضفى كل ذلك عليه جواً من الخيال الرائع.

وفي ذات يوم أرسى الصياد قاربه على الشاطئ الرخو للجزيرة المهجورة، وانطبعت آثار أقدامه على الرمل الأملس. ورأى البدر يظهر خلال الأفنان فينعكس نوره اللازوردي على ماء الغدير الصغير، فبهر بجمال ذلك العالم المجهول،

وتلك السماء الشاسعة الغامضة التي ظهرت على صفحة الماء كأنها خارجة من قلب الأرض ذاتها.

ورأت أرنب عجوز كانت تعيش بين الأشجار على ضفة الغدير رأت الصياد عدوها اللدود، فولت هاربة في خفة وسكون، وقد رفعت أذنيها كأنهما سلاح تذود به عن نفسها.

وغرق الرجل في أحلامه، وفقدت الأرنب أحلامها. وعندما وصلت وسط الغابة ربضت تحت شجرة قائمة وانتظرت وقتاً طويلا وهي ترهف السمع وتشم الهواء بأنفها الصغير المرتعش وقلبها يدق دقات قوية لم تستمع إلى مثلها منذ شهور وشهور.

لقد ظنت الأرنب العجوز عندما اختفت جميع الأرانب من أرض الجزيرة بعد الفيضان السابق أنها المالكة الوحيدة لهذا المكان، وكم حلمت بالعيش هنا بقية أيام حياتها عيشة هادئة، وحيدة لا ينازعها أحد، بعد أن هرمت وهجرها أولادها وتخلى عنها الذكور، ولكن. . .

وتذكرت، لقد عاشت بين جذوع الأشجار التي اكتسحها الفيضان وألقى بها على الضفة المرتفعة للغدير الصغير. وأضحت الجزيرة القاحلة لا يهتم أحد بارتيادها، وحتى بعد

أن جف رملها ونبتت الحشائش على ضفاف الغدير، لم يزرها الصيادون، ولم يبق فيها إلا الهدوء والوحدة. ولم يعكر ذلك الصفو سوى تغريد البلابل على أشجار، إلى حفيف الأغصان وهي ترحب بالماء يجري تحت ضوء القمر فتهتف قائلة (وداعاً أيها الماء، إنه من الأفضل أن تجري من أن تظل ساكنا) فيرد عليها الماء مندفعاً نحو البحر (وداعاً، أنه خليق بك أن تظل ساكنا من أن تجري وتجري على الدوام).

وكانت الأرنب تستمع إليهما فتشعر بالسعادة تغمر كيانها. إنها أقوى من الأشجار وأسرع من الماء. لقد كان في استطاعتها أن تظل ساكنة، أو تظل جارية.

ومرت الشهور، وصمتت البلابل، وتساقطت أوراق الأشجار، وأصبحت الأرانب العجوز في سعادة وهدوء وطمأنينة لم تشعر بها من قبل. أما الآن، فقد أقبل ثانية ذلك الشبح الداكن المرعب. . . ولماذا يعود؟

ورقدت الأرنب منطوية على نفسها بين الأشجار، وعيناها تحدقان تحت جفونها المحمرة. كانت ترى أمامها امتداداً من الرمل اللامع تحت ضوء القمر، وقد أحاطت بالدغل تلك الساحة التي كانت مرتعاً وملهى لها زمن

الصبى والشباب. كانت إذ ذاك تثب وتتعقب ظلها أو ترتقب حبيبها في الليالي التي يشرق فيها البدر. . .

وتحرك خيال على الرمل أعقبه آخر، فظنت الأرنب أنها تحلم. ولكن سرعان ما عاد الخيالان إلى الظهور وجعلا يلعبان ويمرحان لم يكن هناك أدنى شك في حقيقة وجودهما. كانا أرنبين. وعندئذ أدركت المخلوقة العجوز سبب عودة عدوها الداكن، ذلك الصياد، وظهوره في الجزيرة ليلا. وعندئذ انفجر بركان غضبها. لقد انتهكت رفيقاتها حرمة هذه الجزيرة، جزيرتها، واحتلتها دون وجه حق. . .

إن السن والوحدة قد خلقا منها مخلوقة متوحشة أنانية. وكان غضبها، عندما شاهدت الأرنبين أكثر من غضبها عند رؤيتها ذلك العدو الداكن. وعندما اندفعت من مخبئها وتحركت صوب الفضاء الرملي ورأت الأرنبين العاشقين، زاده حدة غضبها واشتد سعيره.

ولكن ذلك لم يحل بين العاشقين وبين اللهو والقفز والعدو. كانت الأنثى ممتلئة الجسم شفافة الأذنين. وكانت تعدو حول الذكر وكأنها لا تراه، ثم ترقد على الرمل، حتى إذا ما اقترب منها هبت واقفة وجعلت تعدو. وكان الذكر نحيل الجسم مشبوب العاطفة. وكانت كل أنظاره تتجه إلى

أنثاه، فتبعها واندفع نحوها كانا سعيدين مبتهجين خالي البال.

ولم تتعب الأرنب العجوز من النظر إليهما، واستمرت تراقبهما حتى اختفيا عن أنظارها بعد أن أجهدهما اللهو اللعب. وارتعشت أذناها كأنهما ورقتا شجر تتلاعب بهما الرياح.

ومرت الأيام والليالي، واختفى القمر وأظلم المكان، ولما ترجع الأرنب العجوز بعد إلى ضفاف الغدير. كانت تخشى مقابلة الصياد. ورقدت في أعماق الغابة المظلمة ولكنها كانت تجازف في بعض الأحيان فتخرج إلى العراء ليلا لتشاهد العاشقين يمرحان في بهجة وسرور.

وفي ذات يوم سمعت صَوت طلقة نارية أعقبتها أخرى ثم ثالثة على بعد كأنها ترداد لصدى بعيد. وأقبل الليل الدافئ وانحدر القمر خلف الأشجار العالية دون أن يظهر العاشقان في تلك الليلة الشاعرية التي تليق للعشاق.

لابد أن العدو الداكن قد اقتنصهما. وعندئذ طغى على الأرنب العجوز شعور من الفرح الشديد جعلها تقفز على الرمل الذي ما زالت تنطبع عليه آثار أقدام العاشقين المسكينين.

وسرعان ما سمعت وقع أقدام بشرية فولت هاربة. واخترقت الغابة حتى اقتربت من الضفة الأخرى للنهر، ورقدت هناك منزوية حتى مطلع الفجر في مكان لم تعهده من قبل.

وعندما أشرقت الشمس قامت من مرقدها. كانت الغابة قد أسدل عليها ستار من الضباب، وتساقطت قطرات الماء البارد من الأشجار. وذهبت الأرنب تستكشف، واندفعت في حفرة صغيرة. فرأت ما أثار عاطفتها على الرغم من أنها كانت جامدة العواطف. لقد وجدت عشا لصغار الأرانب رقد فيه أرنبان صغيران ممتلآ الجسم، يحملقان إليها بأعين ملتمعة. لابد أنهما نسل الأرنبين الذي اقتنصهما الصياد.

كان أحدهما يلعق رأس أخيه، وعندما رأى الأرنب العجوز نظر إليها، ثم جعل يشمها بأنفه المرتعش ثم انكمش خائفاً من جرأته هذه.

وتركتهما الأرنب العجوز وسارت في طريقها. ولكنها رجعت إليهما ثانية فرأتهما يمرحان ويلعق كل منهما الآخر.

كان ذلك اليوم قاتما باردا. وعندما أقبل المساء بدأت السماء تمطر. فرجعت العجوز إلى عشها القديم بين جزوع الأشجار على الضفة المرتفعة للغدير. واستمرت السماء

تجود مطراً مدرارا. إن المطر معناه نهاية الطقس الجميل، وبدء الطمأنينة والوحدة، فسرعان ما يصير الرمل رخوا، ولن يجرؤ الصياد على عبور الغابة المنداة العارية.

ولكن. . . ما مصير هذين الأرنبين الصغيرين؟ وما الذي يحدث لهما هناك في عشهما الصغير؟ هل تذكرت الأرنب الوحيدة أولادها الصغار، ودفء عشها، وعطف الآباء؟ إنه من المعتذر معرفة ما جال في خاطرها في ذلك الوقت، ولكنها على أية حال تركت مخبأها عند الفجر وذهبت لترى الصغيرين. كان المخلوقان المسكينان نائمين وقد احتضن أحدهما الآخر. وكانا وهما مستغرقان في النوم كأنهما يتوقعان قدوم أمهما، فإنه عندما أقبلت عليهما الأرنب العجوز مدا أنفيهما وحركا آذانهما.

ونظرت إليهما العجوز بعينين مندتين بالدموع ومدت هي الأخرى أنفهما كأنها تشم رائحة العش.

وعادت السماء تهطل مطراً غزيراً. . . واستمرت سبع ليال وثمانية أيام حتى أحاطت الجزيرة غلالة قاتمة من الضباب والماء. وارتفع الماء وظل يرتفع حتى شارف مأوى الأرنب العجوز.

حاولت أن ترجع لتشاهد الأرنبين ولكنه تعذر عليها السير بقرب ملجئها من الرمال المتداعي المشبع بالماء. وأصبح من المستحيل عليها أن تصل إلى الوادي الصغير. وعادت السماء تمطر وتمطر، واستمعت الأرنب إلى صوت داو قادم من بعيد كأنه ضوضاء جيش معاد غاز يمر مخترقا الأرض مدمرا ما يصادفه.

كانت الأرنب تعرف ذلك الصوت جيداً. إنه هدير النهر المغتصب. فلم تجرأ على مغادرة عشها على الرغم من شعورها بالجوع ونفاذ ما تقتات به اللهم إلا أوراق الشجر الجافة. فاضطرت أن تظل دون طعام بعد أن وصل الماء إلى جذوع الشجر وأصبح من الخطر عليها أن تتحرك قيد أنملة.

وارتفع الماء وظل يرتع في سكون وحلكة. وظهرت الأرض والسماء والهواء كأنها كتلة واحدة من البرد والماء المضطرب.

وفي اليوم الثامن أقلعت السماء وانقشعت السحب عن زرقتها فبدا القمر يلمع ضوءه الفضي وغيض الماء وظهر كأنه يتراجع مجهدا من النصر حاملا معه غنائمه وأسلابه من الأغصان وأوراق الشجر والطمي والرمل والمخلوقات الميتة. . .

وفي اليوم التالي أشرقت الشمس على المكان المقفر، فتركت الأرنب مخبأها وجعلت تتطلع حولها.

لقد اختفى الغدير وحل محله تيار بطيء من الماء المشرب بالوحل يجري تحت الضفة العالية حاملا معه ضحاياه.

وفجأة لاح للأرنب العجوز بين الأغصان العارية وأوراق الأشجار الجافة وآلاف الفقاعات الصغيرة كأنها حبات عقد انفرط لاح لها الأرنبان الصغيران، جثتين هامدتين، نحيلين طويلين مفتحي الأعين مرتفعي الآذان، يسبحان ويسبحان في الماء الجاري، الواحد بجانب الآخر وكأنهما شقيقان صغيران لا يود أحدهما الافتراق عن الآخر حتى بعد الموت.

وهكذا عادت الوحدة والوحشة تطرقان قلب الأرنب العجوز وهكذا عادت الجزيرة إلى حالها من الهدوء والسكون.

اليوميات
أرثر شنتزلر

كنت عائداً إلى منزلي ليلة أمس عندما جلست فترة من الوقت على مقعد بحديقة المدينة، فلاحظت فجأة سيداً جالساً على الطرف الآخر من المقعد لم أشعر بوجوده من قبل. وأثار ظهره الفجائي دهشتي وشكوكي لأنه لم يكن في حاجة إلى الجلوس على نفس مقعدي، لخلو المقاعد من رواد الحديقة في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

وهممت بالرحيل عندما خاطبني ذلك الغريب. كان يرتدي معطفاً رمادياً طويلاً وزوجاً من القفازات أصفر اللون. وناداني باسمي بعد أن رفع قبعته يحييني. وعندئذ أدركت في دهشة من هو. إنه الدكتور جوتفريد فيفالد، ذلك الشاب المهدب ذو المقام الممتاز. وكان قد نقل منذ أربع سنوات من الخدمة المدنية في (فينا) إلى ضاحية بالنمسا. لذلك لم أر موجباً للتعبير عن دهشتي من رؤيتي إياه في ذلك الظرف من الزمان والمكان، على الرغم من أني لم أكن قد شاهدته منذ عيد الميلاد الأخير.

ورددت تحيته بابتسامة فاترة، ثم هممت أسأله عن سبب جلوسه هنا عندما قال لي فجأة وهو يبدي بيده حركة اعتذارية.

- أرجو المعذرة يا سيدي العزيز، ولكن وقتي محدود. ما أتيت إلى هنا إلا لكي أسرد عليك قصة غريبة. ذلك إذا لم يكن لديك مانع من الاستماع إلي.

فسارعت إلى التصريح باستعدادي لسماع ما سيقوله وأنا في دهشة ما تفوه به. ولم أتمالك من سؤاله لماذا لم يقابلني بالمقهى، وكيف استطاع أن يجدني هنا، ولماذا وقع اختياره علي بالذات لأستمع إلى قصته؟

فأجاب في صوت أجش غير عادي - أما عن السؤالين الأولين فسأجيب عليهما أثناء سردي القصة، وأما اختياري لك يا سيدي العزيز (ولم يلقبني بأي لقب خلاف ذلك) فهو لأني أعرف فيك الكاتب الأديب الذي أستطيع الاعتماد عليه في نشر قصتي العجيبة بالطريقة التي تلائمه.

وبدون أن ينتظر تعليقي على ما فاء به، انشأ يقص قصته دون تمهيد، قال:

تدعى بطلة قصتي رديجوندا. وكانت زوجة البارون ت. الكابتن في فرقة س. إحدى فرق (الدراغون)، وكان مقرها

بلدتنا الصغيرة. (ولم يذكر في الواقع من الأسماء سوى الأحرف الأولى ومع ذلك عرفت البلدة واسم الضابط الفارس ورقم فرقته).

واستمر الدكتور فيفالد يقول (كانت رديجوندا ذات جمال باهر، وقعت في حبها من النظرة الأولى - كما يقول الناس - ولسوء الحظ لم تسنح لي الفرصة التي تتيح لي التعرف بها، فضباط الفرقة وعائلاتهم قليلو التعارف بالمدنيين، ولذلك كنت أقنع بالنظر إليها عن بعد، أراها وحيدة أو بجانب زوجها أو بصحبة الضابط الآخرين وزوجاتهم وهم يسيرون في شارع البلدة.

وكنت أحياناً أحظى برؤيتها تطل من إحدى نوافذ دارها، أو ألمحها داخل عربة تتأرجح بها قاصدة إلى المسرح الصغير في المساء وهناك أشاهدها جالسة في مقصورة من مقعدي بأعلى المسرح، فيخيل إلي إنها تعطف علي فترميني بنظرة عابرة لا أجرؤ أن استنتج منها ما يشف عن الغزل أو التعارف. وبدأت أيأس من استطاعتي وضع قلبي تحت قدميها عندما قابلتها فجأة وعلى غير انتظار في صباح يوم من أيام الربيع الجميلة بالحديقة الصغيرة الممتدة من باب البلدة الشرقي إلى الريف. مرت أمامي وعلى شفتيها شبه

ابتسامة دون أن تلحظ وجودي. وسرعان ما اختفت بين الأشجار دون أن يمر على خاطري أن أحييها أو أتحدث إليها. ولا أدري لماذا لم أشعر بالأسف بعد ما توارت عن أنظاري في أني لم أقم بمثل هذه المحاولة، ولكن كل ما أدريه أنه حدث لي شيء غريب. لقد شعرت بنفسي فجأة أندفع وراء الخيال وأتصور ما الذي يحدث إذا ما كانت قد تمالكت شجاعتي واعترضت طرقها أخاطبها. وجعل خيالي يصور لي كيف لم تخف سرورها بجرأتي هذه، وكيف طفقت تحدثني وتشكو وحدتها وحاجتها إلى من تبثه لواعج نفسها وقلبها، وكيف شعرت بالبهجة عندما وجدت في ذلك الرفيق الذي تنشده. وكانت نظرتها إلي عندما ودعتها نظرة تحوي كل معاني الود والتفاهم حتى لخلت - على الرغم من يقيني بأن كل هذا كان مجرد خيال - بأني عندما أراها مرة ثانية بمقصورتها بالمسرح في المساء سأشعر بأن في صدري كنزاً مدخراً من العواطف لا يشاركني فيه أحد سواها.

لعلك لا تعجب يا سيدي العزيز إذا ما قلت لك بأني وجدت نفسي منساقاً وراء ذلك الخيال الذي لا أدري كيف بعث، ولعل منشأة قوة خفية في نفسي لا أدري كنهها. فسرعان ما أعقبت أولى مقابلات غيرها، وازداد شغفي برد

بجوندا، حتى أقبل اليوم الذي وجدتها بين ذراعي وتقدم بي خيالي، وابتدأت تزورني في شقتي الصغيرة بأقصى البلدة، وعندئذ تذوقت كل أنواع البهجة التي لم أتذوقها في حياتي الواقعية والتي لا أعرف طعمها إلا في خيالي الرائع.

وأقبل علينا الخريف عندما علمت أن فرقة (الدراغون) الذي ينتمي إليها زوجها قد أمرت بالرحيل إلى جاليشيا. فشعرت باليأس القاتل يملأ نفسي - بل يملأ نفسينا - ولم نترك شيئاً مما يقوله العشاق في مثل هذه المناسبة إلا تحدثنا عنه. تكلمنا عن الهرب معاً، والموت معاً، وعذاب الخضوع لحكم القدر. وأقبلت الليلة الأخيرة ولما نصل إلى قرار بعد. وانتظمت رديجوندا في غرفتي المزدانة بالزهور وكنت قد حزمت أمتعتي وحشوت مسدسي وكتبت رسائل الوداع استعداداً لما قد يحدث. كل هذا يا سيدي العزيز كان حقيقة نتجت عن خيال غريب. إن وقوعي التام تحت سحر ذلك الخيال جعلني أعتقد تمام الاعتقاد توقع ظهور محبوبتي أمامي في آخر أمسية قبل أن ترحل الفرقة. كنت أشعر بقوة خفية لم أحسب لها حساباً تدفعني إلى البقاء بالدار. وكنت أتوجه مئات المرات إلى الباب الخارجي فأنصت علني أسمع وقع خطواتها، ثم أنظر خلال النافذة آملاً أن أراها مقبلة

نحوي. ثم شعرت بالقلق واليأس ينتابان نفسي حتى أوشكت على الاندفاع خارجاً، لأبحث عن رديجوندا وأختطفها من زوجها مطالباً بحقي في الاستحواذ عليها، حق حبنا المتبادل.

وأخيراً تهالكت على مقعدي وأنا أرتجف رجفة من أصابته بالحمى. وفجأة - قرب منتصف الليل دق الجرس الخارجي، فشعرت حينئذ بأن قلبي يكاد يكف عن الخفقان. إن دق الجرس - كما تعلم - لم يكن وليد الخيال. واستمعت إلى صوته وأنا مذهول، وشعرت برنينه يطرق أذني، فأيقظ في الإحساس الكامل بالحقيقة. كنت أدرك أنه حتى هذا المساء لم تكن مغامرتي سوى سلسلة من الأحلام العجيبة؛ ولكني شعرت عندما سمعت ذلك الرنين بأمل جريء يستيقظ في ذات نفسي، ذلك الأمل في أن رديجوندا وقد أثر في أعماق قلبها تلك القوى الخفية التي أحيت خيالي، واستجابت إلى دعوتي بقوة رغبتي فيها، سوف أراها واقفة أمامي بلحمها ودمها على عتبة داري، وأنه في اللحظة القادمة سأتناولها حقاً بين ذراعي.

وذهبت إلى الباب وفتحته، ولكن. . . لم تكن رديجوندا هي الواقفة أمامي، بل كان. . . زوجها! كل ذلك كان حقيقة كحقيقة وجودك بجانبي على هذا المقعد.

وقف الضابط لحظة يتأمل وجهي، ووقفت أمامه مذهولاً، ثم دعوته إلى الدخول والجلوس. ولكنه ظل واقفاً وقال في ازدراء أنت تتوقع قدوم رديجوندا. من سوء الحظ أنها لا تستطيع الحضور. لقد ماتت! فرددت قائلاً: ماتت!

وخيل إلي حينئذ أن العالم قد توقف عن الحركة.

وطفق ضابط (الدراغون) يقول في هدوء - لقد وجدتها منذ ساعة بمكتبها وأمامها هذا الكتاب، وها أنذا قد أحضرته ليسهل علينا وضع الأمور في نصابها. لقد قتلها الرعب على ما أعتقد عندما دخلتن عليها في حجرتها بغتة. هذا هو آخر ما سطرته. اقرأه من فضلك.

وناولني كتاباً مغلفاً بجلد بنفسجي اللون، فقرأت الكلمات الآتية (. . . والآن سأترك منزلي إلى الأبد. إن حبيبي في انتظاري).

وأطرقت إطراقه من يدرك ما الذي تعنيه هذه الكلمات.

واستمر الضابط يقول - لا شك أنك أدركت أن ما تحمله في يدك هو يوميات زوجتي. من الأصوب أن تلقي عليها بنظرة، حتى تدرك أنه لا يجديك الإنكار.

وقلبت الصفحات وطفقت اقرأ وأقرأ حوالي الساعة، وأنا مرتكن على مكتبي وهو جالس على المقعد دون حراك. قرأت قصة حبنا كاملة؛ تلك القصة الغريبة بكافة تفاصيلها منذ التقائي بها في ذلك الصباح من يوم الربيع، وتحدثي إليها في الحديقة. ثم قرأت عن أولى قبلاتنا، وسيرنا معاً، وذهابنا إلى الريف، وساعات نشوتنا في غرفتي المزدانة بالزهور، وخططنا التي وضعناها للهرب أو الموت، وسعادتنا وبأسنا. كان كل ذلك مسطراً في هذه الصفحات؛ هذا الذي لم يكن فيه مسحة من الواقع ولكنه كل ما اتفق لي وقوعه في الخيال، وشعرت بعجزي عن تفسير أمر هذه اليوميات. ولكن تبلج في نفسي ضوء نمن الحقيقة هو أن رديجوندا قد أحبتني كما أحببتها، وأنها قد حصلت على تلك القوة الغامضة فمنحتها موهبة الخيال وبذلك شاركتني كل حوادث مغامراتي تلك.

ثم ظهر لي شيء آخر. . إن هذه اليوميات لم تكن سوى وسيلة للانتقام مني بسبب ترددي الذي منع أحلامي -

أحلامنا - من جعلها حقيقة واقعة، وحتى موتها الفجائي كان من صنع إرادتها. بل كان في نيتها أن تضع هذه اليوميات في يد زوجها بهذه الطريقة، ولم يكن لدي من الوقت ما أستطيع فيه أن أستعرض كل هذه المعضلات وأحاول تفسيرها، ولكن وجود زوجها هنا كان إحدى التفسيرات، بل التفسير الطبيعي لكل ما حدث، ولذلك عملت بما تتطلبه الظروف، ووضعت نفسي تحت تصرف الضابط في كلمات تناسب الموقف).

فصحت قائلاً - دون أن تحاول.

فقاطعني الدكتور فيفالد في خشونة قائلاً - حتى لو كان هناك أدنى نوع من النجاح لمثل هذه المحاولة فإنها لتظهر لي شيئاً مشيناً. أني أشعر نفسي بأني مسؤول عن كل هذه النتائج التي أوجدتها مغامرتي الخيالية هذه - تلك المغامرة التي كنت جباناً لأني لم أحققها.

(وقال الكابتن - إني أحب أن أضع الأمور في نصابها قبل أن يعلم الناس عن موت رديجوندا إننا الآن في الساعة الأولى صباحاً. ففي الساعة الثالثة سيتقابل شهودنا. وفي الخامسة سنسوي أمورنا.

وأومأت بالإيجاب في برود، ثم غادرني: ورتبت أوراقي، ثم تركت الدار أبحث عن صديقين فوجدتهما في فراشيهما، وأطلعتهما على الشيء الضروري حتى يدركا المهمة الملقاة على عاتقيهما ثم جعلت أذرع الطريق أمام نوافذ دارها، دار رديجوندا المسجاة الآن على فراش الموت، وتملكني حينئذ شعور اليقين بأني أسير نحو نهاية مصيري المحتوم.

وفي الساعة الخامسة صباحاً واجهت الكابتن وواجهني والمسدس في يد كل منا في الحديقة الصغيرة بالقرب من المكان الذي خاطبت فيه رديجوندا للمرة الأولى.

فقلت - وهل قتلته؟

قال - لا. . إن رصاصتي مست صدغه، ولكنه أصابني في قلبي، وسقطت ميتاً في التو واللحظة كما يقولون.

فالتفت إلي جاري العجيب وكلي دهشة واستغراب، فإذا به قد اختفى من ركن المقعد فذهلت. . . وأخيراً سألت نفسي ألا يجوز أنه لم يكن موجوداً على الإطلاق، وأن كل ما حدث لم يكن إلا وليد خيالي؟ ولكني تذكرت أني سمعت بعضهم كان يتحدث بالمقهى في الليلة السابقة عن مبارزة سقط فيها الدكتور فيفالد ميتاً وعن اختفاء السيدة

رديجوندا في نفس اليوم، والاعتقاد إنها هربت مع ملازم شاب من الفرقة دون أن تترك وراءها أثراً.

وتوالت علي الأفكار والأسئلة. أكان ما حدث وما سمعته حقيقة واقعة؟ ولكني تراجعت أمام التفكير الذي يخالف المنطق. فقد أجشم نفسي مشقة تأييد نظريات لا قبل لي على تصورها، كالتصوف وعلم الروح.

إنه لا يمكنني إثبات حقيقة مثل هذه القصة، إذ تنقصني الأدلة المادية على صحتها. ووجدت لو أني اعترفت بها لواجهت مشكلات لا تعد ولا تحصى، ولاعتقد الناس أني إما ساحر أو دجال. ومن ثم قررت في النهاية أن أقص تلك الزيارة الليلية كما حدثت دون تعليق عليها، وأنا واثق من اعتراض الكثيرين على صحتها، فإن شعور الثقة عند الناس عن الكتاب وما يكتبونه أقل بكثير من شعورهم نحو غيرهم.

الخجول!!

كاثرين مانسفيلد

كان في الواقع شخصا خجولا بكل معاني الخجل، ولا يملك مطلقا ما يقوله عن نفسه. وياله من حمل! إذا كان في غرفتك فإنك لا تدري أين تذهب، ولكنه يظل جالسا حتى يخيل إليك أنك ستتفجر حتما صارخا، وتتحرق شوقا لقذف أي شيء وراءه، عندما يندفع أخيرا إلى الخارج.

وهو يسترعي اهتمامك عند أول نظرة. وقد تذهب إلى المقهى ذا مساء فتراه جالسا في ركن منها، قدح القهوة موضوعاً أمامه. أنه فتى أسمر البشر، رفيع القامة يرتدي صدرة صوفية زرقاء وسترة رمادية ذات أكمام قصيرة تظهره كصبي عازم على الهروب إلى البحر، صبي هارب فعلا وها هو ذا يقوم في لحظة وقد حمل على طرف عصاه منديله المعقود الذي يحوى رداء نومه وصورة والدته. . وها هو ذا يتعثر ليلاً على حافة الجسر الخشبي في طريقة إلى السفينة.

كان له شعر قصير، وعينان رماديتان بأهداب طويلة ووجنات بيض، وفم متجهم كأنه على وشك البكاء، وكيف

تقاوم النساء غراءه؟ أن قلوبهن لتلتوي عندما ينظرون إليه. وكان خجله يزيد جاذبية حتى أن وجهه كن يتحول قرمزيا في كل مرة يقترب منه خادم المقهى، كأنه سجين هارب يعلم ذلك الخادم ماضيه.

وقالت إحدى السيدات (من هو يا عزيزتي. . أتعرفينه؟)

فقالت الأخرى! نعم أعرفه. أنه أيان فرنش، وهو رسام ماهر. أن أول من تعرفت به وهبته حنان المرأة وعنايتها. وكانت تسأله عن أهله، وما يكفيه من الأغطية على فراشه، وكمية اللين التي يشربها يوميا. ولكنها عندما ذهبت إلى داره لتلقى نظرة على جوارب، جعلت تطرق الباب دون مجيب، مع أنها تقسم أنها كانت تسمع تردد أنفاسه داخل الغرفة. ووقفت تنتظر وتنتظر. . . دون جدوى.

وقررت الثانية أن توقعه في شراك الحب. فقربته منها، ودعته بالصبي، وانحنت فوقه لينتشي العطر الفاخر الذي يفوح من شعرها، وأخذته بين ذراعيها، وحدثته عن مباهج الحياة التي لا يتذوقها إلا كل مقدام جرئ. ثم ذهبت إلى غرفته ذات مساء، وقرعت الباب ثم قرعت. . . دون جدوى.

وقالت الثالثة أن التسلية هي ما يحتاجه هذا الصبي. فذهبت به إلى المقهى والملاهي وأماكن الرقص وطفقت

تذيقه الخمر. ولكن كل ذلك لم يحرك شعرة من رأسه. وثمل مرة، ولكنه جلس صامتا جامدا، كالحجر الأصم، وقد علت وجنتيه بقعتان قرمزيتان. وعندما عادت به إلى غرفته كان قد استرد وعيه، فحياها في الشارع كأنهما قادمان من كنيسة. . . وحاولت ثم حاولت. . دون جدوى.!!

وبعد محاولات عديدة يأسن منه النساء - لأن روح العطف لا تموت عندهن إلا بصعوبة - ومع ذلك فكن لطيفات معه، يدعونه في معارضهن، ويحادثنه في المقهى. وكان هذا هو كل ما يستطعن الحصول عليه منه.

واعتقد تمام الاعتقاد أنه يوجد شيء مريب مستخفياً في طيات نفسه. أنه لا يمكن أن يكون بريئا كما يظهر لهن. ولماذا تجئ إلى باريس إذا كنت تريد أن زنبقة في الحقول؟ أنهن لا يشتهين ولكن.

كان يعيش في أعلى بناء شامخ بجانب النهر، من تلك المباني التي تخالها خيالية في الليالي الممطرة والقمرية، وإذا بك لا تشتم في داخلها رائحة الخيال طوال السنة. وكانت غرفته تطل على منظر ساحر والنافذتان الكبيرتان تشرفان على الماء حيث الزورق تتأرجح وتتمايل. وكان أمام النافذة الجانبية منزل صغير يطل على سوق لبيع الزهور تظللها

مظلات عديدة انسابت من شقوقها الأزهار حقا أنه لا يحتاج إلى الخروج، فهو يجدما يجتذبه إذا ما جلس بجانب النافذة، وما يجعله يمكث في غرفته إلى م شاء الله حتى لو ابيضت لحيته واستطالت.

كم تكون دهشة هؤلاء السيدات اللاتي تحدثن عنه إذا ما تمكن من اغتصاب باب غرفته؟ لقد كانت غرفته مثالا للعناية والنظافة وحسن الترتيب، فالأواني معلقة على الحائط خلف الموقد الغازي، وطبق البيض وقدح اللبن وإبريق الشاي على الأرفف، والكتب والمصباح على المائدة، والستارة الهندية المزركشة بالرسومات منسدلة على فرشه، واللوحة الصغيرة المنمقة أمام عينيه بجانب الفراش وقدكتب عليها بخط واضح (استيقظ بسرعة)

كان كل يوم عنده مثل سابقه. فعندمايغمر الضوء غرفته يستميت في عمله، ثم يطهى طعامه وينظف حجرته. ويذهب في المساء إلى المقهى، أو يجلس يقرأ ويكتب عائمة معقدة يبدأها (ما الذي يمكن عمله؟) ويختمها بقسم (اقسم ألا أزيد عن صرف هذا المبلغ في الشهر القادم. الإمضاء - أيان فرنش).

لم يكن هناك ما يدعو إلى الريبة في كل هذا، كما يدعين، ومع ذلك فقد كن على حق، لأن ذلك لم يكن كل شئ.

ففي ذات مساء كان جالسا بجانب النافذة يأكل البرقوق ويرمي بالنواة على قمة المظلات في سوق الأزهار الخالية. وكانت السماء تجود مصرا، أول مطر للخريف في ذلك العام. والبرق يلمع في كل مكان. والهواء يحمل في جوانحه شذى البراعم، وقد خفتت الأصوات التي ما زال صداها يرن في الجو القائم، واقترب الناس من نوافذهم يتطلعون إلى فعل الطبيعة، ويشاهدون الأشجار وقد بدأت تورق وتزدهر. وساءل نفسه أي نوع من الأشجار تلك التي يشاهدها؟ وأقبل العامل المكلف بإنارة مصابيح الشارع، وابتدأ في إضاءة المصباح القائم بجانب المنزل أمامه، ذلك البيت المتداعي، وفجأة كاستجابة لنظراته، فتح مصراعا نافذة وأقبلت فتاة إلى الشرفة تحمل أصيصا من الأقحوان، كانت نحيفة نحافة ملفتة للأنظار، وترتدي مئزرا قاتما، وقد عقدت على شعرها منديلا وهي مشمرة الأكمام وذراعاها يلمعان في الظلام.

وسمتها تقول (نعم، إن الجو حار وذلك. يساعد الزهور على النمو) ثم وضعت الأصيص على الأرض والتفتت إلى من تحدثه داخل الغرفة. ثم استدارت ووضعت يديها على المنديل وجعلت تنظم خصلات شعرها، وألقت نظرة على السوق الخاليةثم إلى السماء، ولكنها لم تلتفت إليه كأن المكان الموجود فيه ليس إلا خلاء وكأنه لا يوجد أمامها منزل مقام. ثم اختفت داخل الغرفة.

وسقط قلبه من نافذة غرفته إلى شرفة المنزل المقابل، واستقر داخل أصيص الأقحوان تحت البراعم التي كانت على وشك التفتح. وسمع أصوات الأطباق وهي تغسلها بعد العشاء، ثم أقبلت إلى النافذة، ونفضت ممسحة صغيرة في الهواء ثم علقتها على مسمار حتى تجف.

. . . لم يسمعها مرة تغني أو ترفع ذراعيها إلى القمر كما تفعل الفتيات. كانت ترتدي دائما نفس المئزر القاتم وعلى شعرها ذلك المنديل الأحمر. من يعيش معها؟ إنه لم يشاهدسواها بالقرب من هاتين النافذتين. ومع ذلك فكانت كثيرا ما تتحدث إلى من بالغرفة. لعلها والدتها العاجزة. ولعل والدها توفى. ولعله كان صحفيا شاحب اللون طويل الشارب أسود الشعر.

أنهما يعملان طوال اليوم ما يكفي لمدهما بالقوت الضروري ولكنهما لا يخرجان من منزلهما قط، ولم يشاهد لهما أصدقاء.

وعندما جلس على مائدته، كان عليه أن يكتب إقرارا جديداً وقسما جديداً بألا يذهب إلى النافذة إلا في ساعات معينه، وألا يفكر فيها حتى ينتهي من عمله اليومي.

كان ذلك بسيط جدا. لقد كانت المخلوقة الوحيدة التي يود أن يتعرف بها. أنه لا يحتمل الفتيات الضاحكات ولا يجديه أن يتعرف بالنساء الناضجات. لقد كانت في مثل سنه وعلى شاكلته.

وجلس في غرفته متعبا مسند ذراعية خلف رأسه، محدقا ناحية نافذتها. وتخيل نفسه موجودا معها وجعل يصفها لنفسه كما يصورها له خياله. كانت ذات طابع حاد. وكثيرا ما كانا يتشاجران في حرارة. وكانت لها طريقتها في الوقوف أمامه في عناد وغضب. ولم يشاهدها تبتسم إلا نادرا عندما كانت تخيره عن الهرة الصغيرة التي تربيها، والتي كانت تزأر كأنها الأسد عندما تقدم لها الطعام. واعتاد الجلوس بجانبها في هدوء كما يجلس الآن وقد أطبقت يديها على حجرها ووضعت قدميها تحت المقعد

الجالسة عليه، وهي تتحدث في صوت خفيض أو تظل صامته، مجهدة من عناء عمل اليوم. ولم تسأله بالطبع عن عمله. وكان يرسمها في أوضاع جميلة. ولكنها كانت تكره كل هذه الرسومات، وتدعي أنها لا تمثلها مطلقا. ولكنه معذور. . . . إنه لم يتعرف بها حتى الآن. ومن يدري؟ فلعل ذلك يستغرق منه سنين طويلة.

ثم وجد أنها تخرج مساء كل خميس لتشتر حاجيات المنزل. ولاحظها خميسين متتالين وهي واقفة أمام النافذة، وقد ارتدت معطفا قديما حملت سلة في يدها. كان لا يمكنه مشاهدة باب منزلها وهو جالس في غرفته. ولكن في مساء الخميس التالي وفي نفس الوقت، اختطف معطفه وهرول خارجا.

وارتكن بجانب منزله منظرا قدومها. لم يكن لديه أية فكرة عما سيفعله أو سيقوله. ثم أقبلت مسرعة في خطوات قصيرة خفيفة. ما الذي سيفعله معها؟ إن كل ما يستطيعه هو أن يقتفي أثرها. . . ذهبت إلى البقال وأمضت هناك وقتا طويلا، ثم توجهت إلى القصاب، وجلست تنتظر دورها، ثم مكثت دهراً عند الخائط. وأخيرا قصدت إلى الفاكهي. أنه يشعر أكثر من ذي قبل بأنه يحب أن يتعرف بها لقد أحب

فيها هدوءها ورزانتها ووحدتها وطريقة مشيها، ووجد فيها كل ما ينشده في امرأة.

كانت سائرة في طريقها إلى المنزل عندما رجع يلاحقها. وتوجهت فجأة إلى اللبان، ورآها من خلال النافذة وهي تشتري بيضة أمسكت بها في عناية، بيضة كتلك التي يختارها لنفسه دائما. وخرجت من الحانوت وتابعت سيرها. وجاءته فكرة. فلم يتردد في دخول الحانوت ومكث هناك لحظة. ثم حث الخطى حتى وجد نفسه يسير وراءها. وخلفت منزله عابرة سوق الأزهار مخترقة المظلات الكبيرة وهي تطأ بأقدامها الزهور المتساقطة على الأرض وزحف داخل منزلها، وصعد السلم محاولا أن يكون وقع أقدامه ملائما لوقع خطواتها حتى لا تلاحظ وجوده. وعندما وقفت بجانب الباب وضعت المفتاح في الثقب، أسرع وواجهها فالتفت إليه في تساؤل.

. . . وأحمر وجهه أكثر من المعتاد، ولكنه نظر إليها في جرأة، وقال في صوت تلوح عليه رنات الغضب المكبوت وقد علت وجهه حمرة الخجل (أرجو المعذرة يا آنسة لقد سقطت منك هذا وقدم لها. . . بيضة!!

شجرة عيد الميلاد
تيودورد وستويفسكي

أنا كاتب قصصي، وأعتقد أنني كتبت هذه القصة. أقول (أعتقد) مع علمي التام بأنها من إبداع قلمي. ولكني مع ذلك على يقين بأنها قد حدثت فعلا في مكان ما في زمن ما، وقعت في بلدة كبيرة ذات ليلة من ليالي عيد الميلاد الشديدة القر.

إني أتخيل غلاماً، صبياً صغيراً، له من العمر ست سنوات أو أقل. استيقظ من مرقده في قبو رطب بارد، وكان يرتدي جلباباً قصيراً ويرتجف من لفحات القر، وتخرج من فمه مع زفيره سحابة بيضاء من البخار وهو قابع على صندوق في ركن من أركان القبو، يراقبها تتصاعد في الجو مبتعدة عنه.

كان يشعر بالجوع يلوي أحشاءه. وكم ذهب العديد من المرات في صباح ذلك اليوم إلى الفراش العاري الذي ترقد

عليه والدته العليلة، ذلك الفراش ذو الحشية الرقيقة المهلهلة والوسادة أشبه ما تكون بالأسمال.

ما الذي أوجدها هنا؟ لعلها قدمت مع ولدها من بلدة أخرى ثم دهمها المرض فجأة. كانت صاحبة الدار قد قبض عليها منذ يومين وأودعت السجن. ورحل معظم السكان لاقتراب العيد ولم يبق في الدار إلا من ثمل دون أن ينتظر عيد الميلاد، وعجوز في سن الثمانين رقدت في أحد الأركان تتأوه وتتوجع من آلام (الروماتزم) وتعنف الصبي وتبدي تذمرها منه فيخشى الاقتراب منها.

كان في وسعه أن يحصل على ما يروي ظمأه من الغرفة المجاورة، ولكنه لا يجد كسرة من الخبز يسد بها رمقه وكم قاسى من ذلك الجوع الذي كان يدفعه إلى محاولة إيقاظ والدته عشرات المرات. وشعر أخير بالخوف ينتابه الخوف من الظلام. كان الليل قد أرخى سدوله، ولم يكن عنده ما يستضئ به، ولمس وجه والدته فلم تبد أي حراك. كانت باردة برودة الحائط. فجعل يخاطب نفسه قائلا (إن الجو بلا شك بارد جداً) ووقف لحظة، وبدون أن يشعر، وضع يده على كتفي والدته، ثم نفخ في أصابعه يدفئها، ثم جعل يبحث على قلنسوته فوق الفراش، وأخيراً خرج من القبو.

لقد كان يود أن يخرج مبكراً، لولا فزعه من الكلب الكبير الرابض عند باب الجيران. ونظر، فلم ير للكلب أثراً، فتابع سيره لا يلوي على شيء.

فليرحمنا الله. يا لها من بلدة! إنه لم ير مثلها من قبل. حقاً إنها لم تكن كبلدته. كان الليل حالك الظلام، ولم يكن في الطريق سوى مصباح واحد. وتوارى الناس في ديارهم، فلم يسمع إلا نباح الكلاب، مئات بل آلاف منها تنبح وتعوي طوال الليل. ولكنه كان في بلدته يستشعر الدفء ويجد ما يقتاب به. أما هنا. . . آه لو استطاع أن يجد ما يأكله. يا لها من جلبة وضوضاء! ويا لها من إضاءة! ويا لهؤلاء القوم وتلك المركبات، وهذا الصقيع! كان البخار يتصاعد في سعب من أفواه الجياد، وكانت حوافرها تصطدم في سيرها بالأحجار المغطاة بالثلوج المتراكمة. كم هو في حاجة إلى ما يسد غائلة جوعه. . . ولم يشعر الآن بالتعاسة. واقترب منه شرطي فتنكب طريقه وابتعد عنه.

ها هو ذا طريق آخر، وما أوسعه من طريق. كان الناس غادين رائحين، يصيحون ويهرولون ويندفعون والضوء! ذلك الضوء! ولكن. . ما هذا؟ إنها نافذة زجاجية كبيرة. ونظر خلالها فرأى شجرة طويلة من أشجار عيد الميلاد ممتدة حتى

السقف، وقد تدلت منها مصابيح وأوراق مذهبة وتفاح ودمى صغيرة وجياد. وكان الأطفال في ملابسهم القشيبة يلهون ويمرحون، ويأكلون ويشربون. ثم ابتدأت فتاة ترقص مع أحد الصبية. وانسابت إلى أذنيه نغمات الموسيقى. ونظر وتعجب ثم ضحك. كانت أطرافه تؤلمه من البرد وأصابعه حمراء متصلبة، توجعه إذا ما حركها. وعندما تذكر ذلك، طفق يبكي، ثم عدا حتى انتهى به المطاف إلى نافذة أخرى شاهد من ورائها شجرة ثانية، ومنضدة حافلة بمختلف الحلوى وقد جلس حولها ثلاث سيدات يوزعن الحلوى على كل من يقصدنهن. وظل باب الدار مفتوحاً يدخله الكثيرون من الرجال والسيدات وزحف الصبي، ودفع الباب، ثم دلف إلى الغرفة. لقد صاحوا فيه ودفعوا به إلى الخارج. وأقبلت عليه سيدة تهرول ودستْ في يده قطعة من النقود، ثم فتحت له الباب ودفعته دفعاً إلى الطريق.

وسقطت قطعة النقود منه، ورن رنينها على الأرض. ولكنه لم يستطع قبض أصابعه الحمراء لالتقاطها. وجرى مبتعداً، وطفق يعدو إلى حيث لا يعلم. وكاد يبكي مرة أخرى. كان خائفاً مرتعباً، واستمر يعدو وينفخ في أصابعه، يائساً، وحيداً جزعاً. ولكن... ما الخبر؟ كان الناس

محتشدين أمام زجاج نافذة وقد ظهرت على محياهم علامات الإعجاب لرؤيتهم ثلاث دمى صغيرة تتحرك وكأنما قد دبت فيها الحياة. كانت الأولى تمثل رجلا عجوزاً جالساً يعزف على كمان كبير، والدميتان الأخرتان واقفتان تعزفان على كمانين صغيرين وتحنيان رأسيهما ثم تحيي كل منهما الأخرى. وكانت شفتاهما تتحركان كما لو كانتا تتحدثان.

ظن الصبي بادئ الأمر أنها حية. ولكنه عندما استبان له أنها ليست إلا دمى، ضحك وتهلل. أنه لم يشاهد مثلها من قبل، ولم تكن تخطر له ببال. وألهاه ذلك المنظر عن شعور البكاء الذي انتابه. ثم شعر بمن يجذبه من ردائه، فالتفت خلفه فرأى غلاماً يلطمه على أم رأسه، ثم اختطف منه قلنسوته، ثم ألقاه على الأرض، فسقط الصبي مرتعباً، ولكنه سرعان ما هب واقفا وعدا مبتعداً عن النافذة وقد وجف قلبه فزعا، وطفق يعدو دون أن يدري إلى أين يذهب، حتى وصل إلى باب ساحة، فدلف إليها وتهالك على كومة من الأخشاب وهو يخاطب نفسه (إنهم لن يبحثوا عني هنا، في ذلك الظلام المدلهم).

وجلس منطوياً على نفسه، مبهور الأنفاس. ثم شعر فجأة بالسعادة تغمره، وزال الألم من أصابعه واستشعر الدفء وكأنه قرب موقد. فارتجف وصاح (عجباً! لا بد أني أحلم! كم هو لذيذ أن ينام المرء هنا. سأرقد قليلا ثم أعود بعد ذلك لمشاهدة الدمى (وابتسم وهو يفكر فيها، وقد تمثلت في خاطره كأنها مخلوقات حية. وسمع صوتاً حنوناً يهتف في أذنه قائلا (تعال إلى شجرتي. شجرة عيد الميلاد أيها الطفل).

وظن الصبي أنها والدته هي التي تهمس في أذنه. ولكن. لا. إنها لم تكن والدته. من الذي يناديه؟ ولم يجرؤ على النظر إليها عندما انحنت فوقه تحتضنه في الظلام. ومد يده إليها. وفجأة. . . يا إلهي. ما هذا الضوء الباهر؟ وما أجمل هذه الشجرة! أين هو الآن؟ كان في مكان جميل كثير الدمى. ولكن. . . كلا إنها لم تكن دمى، بل كانوا أولاداً نضرين في حلل قشيبة وقد تهللت وجوههم بشراً. وأقبلوا عليه من كل صوب يحيطون به ويقبلونه. وشاهد والدته تنظر إليه وقد أشرقت على شفتيها ابتسامة فياضة، فصاح قائلا (أماه، أماه، ما أجمل أن يعيش المرء هنا!) وجعل يقبل الأولاد، وود أن يخبرهم عن الدمى التي شاهدها. وجعل يسألهم (من أنتم؟ من أنتم؟) وهو يشاركهم الضحك معجباً

بهم. فأجابوه (هذه شجرة عيد ميلاد المسيح، شجرته الخاصة، وهبها للأطفال الذين لا يملكون مثلها).

كانوا أطفالا حالهم مثل حاله. فمنهم من تجمد برداً في السلال التي تركهم ذووهم فيها على عتبات الديار. ومنهم من لقي حتفه خنقاً خشية العار. ومنهم من مات على ثدي والدته الجائعة والآخرون دهمهم الموت من فساد هواء المكان الذي كانوا يعيشون فيه. ومع ذلك. . كانوا كلهم مجتمعين هنا كالملائكة حول المسيح. وكان المسيح يتوسطهم ويمد يده إليهم يباركهم وأمهاتهم قد فاضت دموعهن. وكانت كل من تعرفت بولدها تندفع إليه في شوق تقبله فيمسح عبراتها بيديه الصغيرتين، متوسلا إليها ألا تبكي. كانت تغمرهم السعادة. . السعادة الحقة.

وانبثق نور الفجر، عندما وجد حمال جثة الصبي متجمدة الأطراف من شدة القر، راقدة على كومة الأخشاب.

وبحثو عن والدته. كانت قد سبقته إلى العالم الآخر. لقد تقابلا أمام الله في السماء.

لست أدري لماذا كتبت هذه القصة التي لا تجري في أسلوبها مع مذكرات عادية أو مؤلفات كاتب. ولكن كل ما أدريه أني ما زلت على يقين بأنها ليست وليدة الخيال، وإنما

وقعت فعلا، وإنه قد حدث ما حدث في ذلك القبر وكومة الأخشاب هناك.

أما عن شجرة المسيح، فلا أستطيع أن أجزم هل هي حقاً في علم الوجود أم أنها من نسيج خيالي.

obeikandl.com

الانتظار

سنزي أورموند

لقد أخبرها بأنه سيعود إلى الديار بعد انتهاء الحفلة قبيل منتصف الليل. ولكن الساعة الصغيرة القائمة على المنضدة كانت تشير إلى الواحدة صباحاً. إنه لم يسبق له أن تأخر مثل هذا التأخير تأخر وحيداً وبدونها.

ورقدت تحت الأغطية في فراشها قلقة مضطربة. كانت مجهدة من العمل. وكانت كل حاسة فيها تصيح بها أن استريحي ولا تقلقي كل هذا القلق على ولدك لقد بلغ السادسة عشرة. إنه الآن ليس طفلاً.

وتذكرت. . . لقد ذهبت مرة في صباها إلى النزهة ولم تحضر إلا ليلا. وعندما عادت ورأت الستار القاتم على نافذة غرفة الجلوس ينسدل ارتبكت واضطربت. إن والدتها كانت تتطلع خلال النافذة تترقب عودتها في قلق ولهفة. إنها لا تزال تذكر كلمات أمها وهي تقول لها (انتظري يا عزيزتي وستشريني في يوم ما على شدتي نحوك). ولكنها كانت في سن السادسة عشرة ولم تكن لتعي معنى لهذه الكلمات،

ولا لما قالته والدتها بعد ذلك (أنها ليست كمسألة عدم الثقة بك، ولكن كثيراً ما تقع الحوادث بين أطيب العائلات في هذه الأيام).

ولا تدري لماذا كانت تهيجها هذه النصائح عند بلوغها هذا السن الذي أدركت فيه الشعور بالحرية الشخصية. ذلك الوقت التي بدأت تخفي فيه بعض أسرارها، وتشعر بأنها تخصها وحدها، تخص عالمها التي تعتقد أنه ملك لها.

ولكن. . . كانت والدتها تتدخل في كل شؤونها، فتفتح رسائلها قبل أن تعود من المدرسة. إنها لا تلومها على رقابتها، ولكنها ليس لها حق فض رسائلها، إن التدخل فيما يخصك في هذا السن هو إهانة لا تغتفر، ولا يصح أن يحدث ذلك لأولادك كل ما تستطيع عمله هو أن تراقب فقط، وعندما يكبرون ويقبلون على الزواج.

نعم، لقد اكتمل نضجها وتزوجت، ثم ترملت بعد عامين، وها هو ذا ولدها قد نما عوده ووصل إلى أول مرحلة الشباب. إنها لم تفكر قط في الاطلاع على رسائله كلا، إنها لن تتهم بذلك الفعل، ولكنها الآن راقدة في فراشها مغمضة العينين، وقد انسابت روحها تخترق ستار النافذة وتتساءل: لماذا لم يحضر؟ وما الذي حدث له؟ وعزمت على أن تسأل

عنه في المستشفيات وفي أقسام البوليس إذا لم يعد بعد نصف ساعة. . . من يدري؟ فلعله راقد الآن في غيبوبة، أو ملقى في حفرة وقد سلبت منه ساعته اليدوية التي أهدتها له في عيد ميلاده الأخير والخمسة دولارات التي في جيبه، إن الكثير من الحوادث أحياناً ما يقع بين أطيب العائلات! وطاف بفكرها خاطر مزعج، إن على ولدها أن يعبر تلك الشوارع التي يجتازها سائقو السيارات، بعرباتهم غير مبالين بنظام المرور في ذلك الوقت المتأخر من الليل، وودت في تلك اللحظة لو أنها كانت تعيش في الريف بعيداً عن هذه السيارات. . .

وهبت واقفة وأقبلت على النافذة تتطلع إلى الشارع. يا إلهي ما هذا الضباب المخيم في الخارج؟ كان يتكاثف واستقر في صمت وسكون. وتركت طرفي الستارة، ثم زحفت داخل الأغطية في عصبية. وحاولت أن تسيطر على أعصابها، وأغمضت عينيها. ولكن. . سرعان ما فتحتهما عند سماعها صوت أقدام تدب خفيفاً على إفريز الشارع. حمدا لله ها هو ذا قد قدم.

وترددت الخطوات، ثم سمعت بابا يفتح. لم يكن باب شقتها بل كان باب جارها الكهل. ثم سمعت صوت سيارة

الإسعاف فهبت من فراشها بقلب واجف، كانت تسمع رنين جرس السيارة كأنه العويل، وسرعان ما تلاشى الصوت تدريجياً واختفت السيارة.

وأقبلت على النافذة مرة أخرى وتطلعت، وإذا بولدها قادم صوب المنزل، يسير وقد انعكست عليه أنوار الشارع. نعم إنه هو ولا يمكنها أن تخطئ مشيته وحركاته. كانت ساقاه الطويلتان تخطران في خطوات متسعة نحو الدار، وكان يصفر لحناً شائعاً، وكتفاه يتمايلان في حرية وكأنه يقول: (إن هذا هو عالمي. . . أنني رجل وهذه دنياي). وشعرت بالغضب يعصف بها، ثم بالحزن ينتابها، كانت تود أن تشاركه ذلك الشعور بالحرية، ولكن قلقها عليه حال بينها وبين ذلك. وتبين لها حقه في السير، لا في هذا الشارع الذي تحفه الأشجار فحسب، بل في الأزقة المظلمة والأماكن الأخرى، بل حتى في الأركان المظلمة من عقله. إن وجوده معها تحت سقف واحد لا يعطيها الحق في امتلاكه امتلاكا كاملا. وليس لها حق مشاركته أفكاره إلا إذا اضطرتها الظروف اضطراراً. إن الرجل له حق العيش في عالمه الخاص. وإذا سمت أفكاره حتى وصلت إلى الأشجار التي يسير تحتها وإذا ما جعلته يصفر مسروراً، إذاً لوجب عليها أن

تكون سعيدة من أجله. ومع ذلك. . . كان في استطاعته أن يخبرها تليفونياً. وعادت إلى فراشها وتنفست في هدوء عندما أقبل ولدها، وحياها في مرح وهو واقف على عتبة غرفتها وقال (لقد ظننتك نائمة إن الساعة الآن حوالي الثانية). كان يشوب صوته نبرات من الحماس. وتمطت ثم مسحت عينيها وتمتمت قائلة.

- يغلب على ظني أنى نمت وتركت النور مضاءاً دون أن أطفأه. مساء الخير يا عزيزي. ثم مدت يدها لتطفئ النور. ولكن ولدها تقدم في الغرفة ووقف أمام فراشها ينظر إليها، ثم قال:

- أظنك لم تسمعي ما قلته. إنها الآن الساعة الثانية صباحاً.

وتظاهرت بالدهشة ثم قالت - نعم إنها الثانية. حسناً. . . ليلة طيبة يا بني. ونظر إليها مستغرباً ثم قال - ألست عاتبة على؟! فتثاءبت وقالت - ولماذا أعتب عليك؟

- ولكنى قلت إني سأعود قبيل منتصف الليل. إني آسف إذا كنت قد أقلقتك. وأظن أن جدتي قد رفعت عقيرتها حتى السقف. إنه لا فائدة من إخباره الآن أن جدته قد رحلت غاضبة بعد أن يأست من التحدث معها عن (طيشه وتأخره)

فقالت - لم أكن قلقة على الإطلاق: - هذا حسن. كان يجب على أن أخاطبك تليفونياً، ولكن... ما الأمر؟! هل الضوء قوى؟! وأنزلت عينيها عن موضع أحمر الشفاه الملطخ به خده وقالت في بطء أجل... إنه الضوء... وضغطت على أداة إطفاء النور، وغمر الليل الهادئ الغرفة. إنها لن تر أحمر الشفاه في ذلك الضوء. كانت تعرف بأنه لو كان عنده ما يقوله لها هذه الليلة فأنها لا ترغب في أن تفرض عليه القول فرضاً كأنه واجب يتحتم عليه أداءه. إنه ليكون أقل ارتباكا إذا ما اعتقد بأنها لم تلحظ هذه البقعة الحمراء. ولكنها كانت تشعر في قرارة نفسها أن ما شاهدته لم يكن سوى نصف الحقيقة. وكانت غريزتها تهيب بها أنه يتحتم عليها أن تنتظر حتى يطلعها على النصف الآخر، أو... أو يفضي إليها بالأكذوبة التي تخشاها. فقالت: (هل هناك فتيات في هذه الحفلة الليلة؟). انساب ذلك السؤال منها دون أن تتمكن من كتمانه، وانتظرت في لهفة الرد عليه، وخيل إليها أنه أبطأ في الرد كثيراً عندما قال: (كلا... كلا). ولم ينظر إلى عينيها عندما استمر يقول: (لم يكن هناك ألا رفقائي... ولكن... يوجد شئ آخر أود أن...) فقاطعته قائلة وهى تحاول الاحتفاظ بهدوئها:

ليس الآن يا عزيزي. . في الصباح. فتمتم قائلا: حسناً ثم استدار وسار صوب الباب وأقفله وراءه في هدوء، وجلست في فراشها متصلبة الجسم حزينة القلب، لقد كذب عليها أولى أكاذيبه، أكانت هي الأولى حقاً؟ كم عدد الأكاذيب التي سبقت هذه الكذبة؟ وشعرت برغبة جارفة تدفعها إلى القفز من الفراش لتواجهه بخديعته وتقول له: التفت إلى. ثم ماذا؟ إنها تشعر بأنه لا فائدة من مواجهته، إنه ليكفى أن تنظر إلى وجهه، فيحدق إليها بطريقته المحبوبة، وإذا بشيء ينغلق خلف تلك العينين الرماديتين.

إن خوفها كان أكثر من ألمها، خوفها من أن تكون أمها على حق، ربما كان ولدها في حاجة إلى المزيد من الرقابة. وشعرت برجفة تسرى في جسدها، كان يجب عليها أن تواجه كل شئ دون مواربة. وسمعته يتحرك في الحمام وهو ينظف أسنانه ويخلع حذاءه، ثم سمعت الماء يجرى على جسده، ووقع خطواته على الأرض، ومسح جسمه بالمنشفة، ثم خرير الماء المتساقط من الصنبور. كان له وقع غريب في أذنيها كأنه صوت لحن موسيقى واستمر الماء يتساقط. هاهو الآن في المطبخ يبحث عما يأكله كان يحاول ألا يحدث صوتاً حتى لا يقلق نومها. وانطفأ النور في المطبخ ولما تزل

جالسة في فراشها، ثم استمعت إلى وقع خطواته تتلمس طريقها في الظلام وهو يسير في البهو وفى غرفة الجلوس، إن هذه الأصوات العادية كانت كأنها تجمع في ذاتها سر الحياة ربما كانت غير عادلة نحوه، يجب أن يكون هناك شرح مقبول لهذا الطلاء الأحمر، واستمعت مرة أخرى إلى خرير الماء التساقط وخيل إليها أن نغماته قد اختلفت عن ذي قبل. ومرت بيدها على وجهها، لقد فشلت في أداء مهمتها كأم، إن والدتها على حق، لو كانت قد تعهدت ابنها كما نصحتها لما كذب عليها الآن، إنه لم ينو الذهاب بتاتاً إلى تلك الحفلة، لقد حاول أن يخبرها بشيء الليلة، ولكنها لم تحتمل الاستماع إليه. وسمعت همساته صادرة وراء الباب تقول: (ألا زلت مستيقظة؟) فقالت: (ادخل) ربما كان من الأفضل لها أن تعرف كل شئ الليلة، وأقبل عليها وهو يحمل زجاجة قد امتلأ نصفها باللبن، وجلس على المقعد الكبير، ها قد حان وقت الاعتراف، وجعل يرتشف اللبن ثم قال فجأة: (لقد تركت الحفلة مبكراً. كان ذلك عند الساعة الثامنة. . .). فقاطعته قائلة: يا عزيزي. . . يخيل إلى أنى أسمعك وكأنك جالس تؤدى شهادة في المحكمة. كلا. لا أود فقاطعها قائلا وهو ينظر إلى وجهها وقد تدفقت الكلمات

من فيه: (الحقيقة أنى خرجت مع فتاة، وأكنى لم أرغب في أن أطلع أحداً على ذلك) ونظرت إلى ولدها، كان في وجهه البراءة ونضارة الشباب، إن ألم الوضع لم يكن الألم الوحيد للأم، إن مهمتها تنحصر في شيئين: أن تكون أما وأن تكون أباً. وها قد حان الوقت الذي يجب أن تؤدى فيه مهمتها على الوجه الأكمل، والذي يجب أن تدرك فيه دون مرارة بأنه إذا توجهت نظرات ولدها إلى حقيقة الشباب، فإنها يجب أن تودع صباه. واصطبغ وجهه بحمرة الخجل وهو يقول: (كانت تنتظرني مع أبويها، وذهبنا معاً، وكنت على وشك أن أخاطبك تليفونياً، إلا أنى لم أستطع الاتصال بك). ثم وضع الزجاجة على المنضدة ونهض وقبل والدته. وحياها تحية المساء. وعند ما اقترب من الباب تردد ثم قال أظن أنى ارتكبت غلطة واحدة، لقد قلت لوالدتها (نعم يا سيدي) فابتسمت وقالت (لا تفكر في ذلك. وعلى فكرة يا حبيبي إذا كانت قد أخلفت الميعاد فما الذي كنت تفعله؟) وفكر لحظة ثم قال (لا أعلم. أظن كنت سأقول لنفسي (حظ عاثر) ثم أترك الأمر يقف عند هذا الحد. ألا تعلمين أنها ستقابلني لأعرفك بها وبوالديها؟ على أية حال أظن أنى عملت كل شئ على ما يرام، أليس كذلك؟) فابتسمت وقالت في

إخلاص) أجل، لقد قمت بكل شئ على الوجه المرضى) وذهبت وجلست يغمرها الضوء وهى تبتسم لنفسها. نعم لقد أدى كل شئ على الوجه الأكمل. إنه لم يحدثها عن القبلة. هذا حسن. إنها فخورة به. لقد أصبح رجلا مهذباً. ثم أطفأت النور واستقرت في فراشها في رضاء تام. لقد انقطع خرير الماء. وأسفت على ذلك. كان في الحق صوتاً مبهجاً.

obeikandl.com

الأنموذج
جي دي موباسان

كانت بلدة (أترات) الهلالية الشكل ذات الجرف الأبيض، والبحر الأزرق والرمل الذهبي، تنام في هدوء تحت شمس شهر يوليو المشرقة، وقد برز على طرفي الهلال قوسان من الصخور مدليان على الماء السكن، أصغرهما واقع إلى الشمال كأنه قدم قزم، وأكبرهما إلىالجنوب كأنه ساق عملاق.

واحتشد الناس على طول الساحل راقدين على الرمل يتأملون المستحمين، وازدحمت شرفة (الكازينو) بالقاعدين أو السائرين المتنزهين، فبدت ملابس السيدات المزركشة ومظلاتهن الحريرية الموشاة كأنها حقل منسق الزهور. وابتعد البعض عند آخر الشرفة يتجول هنا وهناك ويتمتع بالطقس الهادئ اللطيف بعيداً عن ثرثرة البعض الآخر.

ومشى جان سمر الرسام الشاب المعروف بجانب مقعد متحرك يدفعه الخادم، جلست عليه زوجه المقعدة تحدق في حزن إلى صفاء السماء تارة، والى الحشد المبتهج الجالس

تحت الشمس الزاهية تارة أخرى. كانا صامتين لا ينظر أحدهما إلى الآخر.

وأخيراً قالت السيدة إلى زوجها - دعنا نقف هنا لحظة. كان كل من مر عليهما ويراهما صامتين ينظر إليهما نظرة إشفاق. كانوا يعرفون قصة غرامهما، تلك التي أصبحت أسطورة البلدة. لقد عقد عليها الرسام على الرغم من عاهتها.

وجلس على مسافة غير بعيدة منهما رجلان يتحدثان ويتطلعان إلى البحر، وتابع أحدهما حديثه قائلاً كلا، هذا غير صحيح. إني أعرف جان سمر جيداً.

- إذا لماذا تزوجها؟ لقد كانت مقعدة عندما عقد عليها أليس كذلك؟

- أجل، أنها الحقيقة. لقد تزوجها. . . حسناً. . . تزوجها كأي رجل يتزوج، لأنه كان مجنوناً.

- ولكن لا بد وأن هناك سبباً آخر.

- سبب آخر يا صديقي؟! لا يوجد هناك سبب آخر. إن الرجل مجنون لأنه مجنون. أنت تعرف أن الرسامين مشهورين بالغريب من الزواج. إنهم غالباً ما يتزوجون

الفتيات اللاتي يرسمونهم، وقد كن قبل الزواج خليلات لغيرهم من الرجال. أنهن سلع قديمة بمعنى الكلمة!.

لماذا يتزوجونهن؟ سؤال لا يستطيع أحد أن يجيب عليه إجابة شافية. وقد يظن المرء أن الاختلاط الدائم بهن يجعلهم يعافون مثل هذا النوع من النساء. ولكنه ظن غير صحيح. فانهم بعد أن يرسمونهن يتزوجونهن. حبذا لو قرأت كتاب (زوجات الفنانين) لألفونس دوديه إنه كتاب ثمين واقعي قاسي النقد.

إن زواج هذين الاثنين قد حدث بطريقة محزنة غير مألوفة. وفي الحق، لقد مثلت الفتاة مهزلة أو قل مأساة، وقامرت بكل شئ في ضربة واحدة. هل كانت تحب جان؟ لا يستطيع أحد أن يتكهن بذلك في مثل هذه الحالات. من ذا الذي يستطيع أن يتحدث عن مقدار عنصر القسوة، ومدى عنصر الإخلاص اللذين يدخلان في أعمال المرأة؟ إنهن دائماً لغز لا يستطيع الرجل حله. فنحن طالما نسأل أنفسنا. هل هن مخلصات، أم هن يغلبن علينا دوراً؟ يا رفيقي العزيز، إنهن مخلصات وغير مخلصات لأن ذلك جزء من طبيعتهن. فكر في الوسائل التي يتخذها أمهرهن للحصول على كل ما يرغبنه منا. أنها وسائل نستنتجها، وبسيطة

لأننا بعد ما نقع في الشرك لا نملك إلا أن نتعجب دهشة ونسأل أنفسنا (حسناً. . . هل هن حقيقة خدعتنا بمثل هذه السهولة؟ وهن دائماً يسلكن الطريق الذي رسمنه لأنفسهن. خصوصاً عندما يرغبن في الزواج. على أية حال إليك قصة سمر).

(كانت الفتاة أنموذجاً عنده. وكانت حسناء ساحرة ذات جمال فتان. ووقع الرسام في شراك حبها كأي رجل يقع في حب فتاة جذابة كثيرة التردد عليه. وخيل إليه أنه يحبها حقيقة. إن تلك ظاهرة عجيبة. فإنه حالماً يرغب رجل في امرأة يقتنع في قرارة نفسه اقتناعا تاماً أنه لا يستطيع من بعدها عيشاً. ولكن الرسام كان يدرك تمام الادراك أن ما حدث قد حدث له من قبل، وأنه عندما تشبع الرغبة يعقبها التقزز. وكان يعرف أنه لكي يقضي سني حياته مع مخلوق بشري آخر، فإنها ليست العاطفة الحيوانية البدائية الزائلة هي ما يحتاج إليه، وإنما التشابه الروحي والتآلف في الشعور والطباع، وأنه يجب عليه أن يكون قادراً على التمييز - وسط الجاذبية التي تؤثر عليه - فيما إذا كان ذلك الانجذاب نتيجة عوامل طبيعية محصنة، أو هو نوع من الخيال، أو نتيجة اتحاد روحي متين.

ومع ذلك فقد ظن الرسام أنه يحبها، وتعهد مئات المرات وأقسم على الاخلاص لها وألا ينظر إلى امرأة غيرها وكانت في الحق رشيقة؛ رشاقة فتيات باريس. وكانت تثرثر وتتحدث بعبارات جنونية في صور مسلية. وتومئ إليه بحركات جذابة؛ وتقف أمامه وقفات فاتنة تسر كل فنان.

ولم يدرك جان مدة ثلاثة أشهر بأنها في قرارة نفسها لا تختلف عن أية فتاة أخرى من طرازها. بل أستأجر لها داراً في (أندرس) لقضاء فصل الصيف. وكنت هناك ذات مساء عندما ابتدأت أولى الشكوك تفرض نفسها فرضاً على نفس صديقي. كانت ليلة بديعة، فقررنا التنزه على ضفة النهر. وكان القمر يرقص على صفحة الماء المتألق، فتلألأ صورته بتأثير تيار الماء الجاري.

كنا نسير على طول الضفة، وقد تملكنا شعور مبهم من السعادة، تلك السعادة التي كثيراً ما تغمرنا في مثل ذلك المساء الكامل. وشعرنا بأننا نستعرض منظراً ساحراً، وبأننا وقعنا في حب سماوي مع ما صورته لنا مخيلتنا الشاعرية. كنا ندرك في عجب هذه الأحاسيس الغريبة المثيرة. وسرنا صامتين متأثرين من هذا الهدوء وبهجة هذه الليلة. وظهر القمر كأن ضوءه يخترق ذاتنا؛ يخترق الجسد فيغرق الروح

في حمام شذي من الرضا. وفجأة انفلتت من جوزفين - وكان هذا أسم الفتاة - صيحة وهب تقول - هل رأيت السمكة الكبيرة وهي تقفز هناك؟

فأجاب الرسام دون أن ينظر إليها أو يعي كلماتها - نعم يا عزيزتي.

ففقدت هدوءها وقالت: كلا إنك لم ترها؛ فأنت تستدبرها

فأبتسم وقال: إنك على حق. إن المساء من الجمال حتى لا أستطيع أن أفكر إلا فيه.

فلم تفه بكلمة فترة من الزمن، ثم قالت أخيراً وكأنها شعرت بأنها في حاجة إلى الكلام - ألن نذهب غداً إلى باريس؟

- لست أدري.

فقطبت قائلة - هل تعتبر ذهابك إلى نزهة دون أن نتحدث نوعاً من التسلية؟ حتى الأغبياء يتحدثون!

فلم يجبها. ثم أدركت ببديهة المرأة المتمردة أنها أثارته، فطفقت تغني أغنية شائعة. فتمتم قائلاً - أصمتي أرجوك.

فردت في حنق - ولماذا أصمت؟

فأجاب - إنك تفسدين علينا لذة التمتع بجمال الليلة.

ثم حدث ما لا يستطيع تجنبه في مثل هذه الظروف، ذلك المنظر الكريه. ابتداء بتوبيخات أعقبتها اتهامات ثم بكاء. وأخيراً عادا إلى الدار وتركها تصيح دون أن يقاطعها.

وظل ثلاثة اشهر يناضل في يأس في سبيل الفكاك من الأغلال التي كانت تقيده بها. وكانت قد استغلت عاطفتها المسيطرة عليه لتجعل من حياته بؤساً وجحيماً. ولذلك كانا يتشاجران ليل نهار. وأخيراً قرر أن يضع حداً لكل ذلك ويهرب. . . فباع لوحاته وأقترض مالاً وتركه وخطاب وداع على حافة المدفأه، ثم التجأ إلى منزلي.

وقبيل الساعة السادسة بعد الظهر قرع الجرس فذهبت وفتحت الباب. . . فبدأ لي وجه امرأة نحتني جانباً ثم اقتحمت طريقها إلى مرسمي. كانت جوزفين. وهب الرسام واقفاً عند ما دلفت إلى الغرفة وألقت برسالته والنقود تحت قدميه في اشمئزاز ظاهر، ثم صاحت في جفاء - إليك نقودك -. لست في حاجة إليها.

كانت ترتجف وقد شحب لونها وهي في حالة تدفعها إلى ارتكاب أي شئ. أما الرسام فكان منفعلا شاحب الوجه غيظاً وكمدا. فسألها - ما الذي تريدينه؟

فأجابت - إني لا أود أن تعاملني كعاهرة. لقد أردتني فاستجبت لرغبتك. ولم أطلب منك شيئاً. إنك لا تستطيع أن تندبني.

فضرب الأرض بقدمه وقال - كلا. . إن هذا لكثير. إذا كنت تعتقدين أن. . .

فأمسكت بذراعه وقلت له - لا تقل شيئاً يا جان. دع الأمر لي.

وجعلت أتحدث معها في لباقة، واستعملت كل ما وعاه عقلي من مناقشة خليقة بهذا الموقف، فاصغت إليّ دون أن تتحرك وهي تحدق أمامها صامتة عنيدة. أخيراً بعد أن قلت كل ما استطعت قوله، وبعد أن أيقنت أنه لا توجد ذرة من الأمل في السلام، فكرت في إطلاق آخر سهم من جعبتي فقلت:

- إنه لا يزال يحبك يا عزيزتي. ولكن عائلته ترغب أن تزوجه. أنت تعرفين ما أعني.

فاضطربت وقالت - آه. . . لقد بدأت أدرك الآن.

ثم التفتت إليه وقالت - إنك. . انك ستتزوج؟ فأجاب قس شراسة - نعم.

وتقدمت خطوة نحوه ثم قالت - إذا تزوجت سأقتل نفسي. أتفهم ذلك؟

فهز كتفيه وقال - حسناً. . . اقتلي نفسك.

أتقول. . . أتقول. . أعد ذلك مرة أخرى.

فردد قائلا - حسناً. . . أقتلي نفسك إن أردت.

فقالت وقد أزداد شحوب وجهها - لا تعتقد أني لا أعني ما أقوله. سألقي بنفسي من هذه النافذة. فجعل يضحك، ثم ذهب إلى النافذة، وفتحها. وأخيراً انحنى لها في احترام قائلاً في أدب ساخر - من هذا الطريق. . . بعدك يا سيدتي.

فنظرت إليه هنيهه وقد ظهر وميض من الجنون في عينيها. ثم. . . ثم اسرعت كأنها في سبيل اجتيازها سياج حقل، وانطلقت أمامنا، ثم تخطت حاجز الشرفة، واختفت عن أنظارنا.

لن أنسى ما حييت تأثير تلك النافذة المفتوحة، عندما شاهدت الفتاة تسقط أمامي. وتراجعت بدون وعي إلى الخلف خشية أن أنظر إلى أسفل، كأني سأسقط أنا الآخر. ووقف جان دون حراك ينظر في ذهول.

وحملت الفتاة مكسورة الساقين، وأصبحت عاجزة عن السير بعد ذلك. وجن عشيقها تحت تأنيب ضميره. وكأنه شعر بأنه مسئول عما حدث، فعاد إليها وتزوجها.

. . . هذه هي القصة بحذافيرها يا صديقي)

كانت الشمس على وشك المغيب، وشعرت الفتاة ببرودة الجو، فرغبت في العودة إلى الدار. وأبتدأ الخادم يدفع المقعد صوب البلدة. وسار الرسام بجانب زوجه بعد أن مكثا ساعتين دون أن يفوه أحدهم بكلمة.

obeikandl.com

القلب الواشي
ادجار الان بو

حقا، لقد كنت عصبيا، ولا زلت في حالة عصبية مخيفة. لكن. . لماذا تقول إني مجنون؟ إن الداء قد أرهف حواسي - لم يدمرها - ولم يضعفها، ولا سيما حاسة السمع الحادة. لقد سمعت أصوات من في الأرض ومن في السماء، حتى من في الجحيم. فكيف إذن أكوان مجنونا؟ أصغ لي، ثم لاحظ كيف أقص عليك القصة بحذافيرها وأنا في تمام الصحة وفي غاية الهدوء.

إنه لمن المستحيل أن أعير كيف أثرت تلك الفكرة على عقلي بادئ ذي بدء. ولكنها أصبح تلازمني ليلا ونهار. أما عن الدافع فلقد كنت احب ذلك الكهل. إنه بم يخطئ في حقي البتة، ولم يوجه إلي أية أهانه ولم اكن أرغب في ماله. ولكن عينه هي السبب، ونعم كانت هي السبب. إنها تشبه عين الطائر. . عين العقاب. كانتزرقاء تغطيها طبقة شفافة ومعه. وكنت في كل مرة تلتقي عيناي بها، تثور ثائرتي، ويهيج هائجي. ولهذا قررت أن أنهي حياة الكهل، وبذلك

أتخلص من تلك العين إلى الأبد. هذا هو الدافع. إنك تتخيلني مجنونا. ولكن ليتك رأيتني أقوم بالعمل وأنا في كامل وعي. ليتك شاهدتني وأنا أنجزه في حيطة وحذر. كنت أشفق على الكهل في أيامه الأخيرة أكثر من إشفاقي عليه في أيامه السابقة. وكنت في منتصف كل ليلة أدير أكره بابه وافتحه في هدوء. وياله من هدوء! ثم اطل برأسي عليه أن أقلل من ضوء المصباح تدريجيا حق يشع نوره داخل الغرفة. كنت أحرك الباب في بطء حتى لا أزعج نوم الكهل، فيستغرق ذلك مني وقتا طويلا. هل يمكن لرجلمجنون أن يكون عاقلا إلى هذا الحد؟ فإذا ما أطللت برأسي داخل الغرفة، أزيد من ضوء المصباح باحتراس، بكل احتراس، فأسمح لشعاعه ضئيلة تسقط على عين العقاب. كنت افعل ذلك سبع ليال متتالية، ولكني كنت أجد العين دائما مغمضة ولذلك كان من المستحيل على أن أنجز عملي. لأنه لم يكن الكهل هو الذي يثيرني، بل كانت عينه الشريرة. وكنت في كل صباح، عندما تشرق الغزالة، أذهب إليه في شجاعة وأتحدث معه في جرأة، وأدعوه باسمه في لهجة ودية وأساله كيف قضى ليلته. وهكذا ترى أنه لم يشك فيما كان يحدث كل ليلة وهو نائم ما لم يكن بعيد النظر!

وأقبلت الليلة الثامنة، وكنت أكثر حذرا في فتح الباب. كنت أسيطر على شعور الانتصار في قوة عجيبة وأنا أفكر في ذلك الكهل الذي يجهل ما الذي أفعله وما الذي أفكر فيه. وابتسمتثم ضحكت. وسمعت حركة في الفراش. لعله سمعني أضحك فقام فزعاء ولعلك اعتقدت أني تراجعت. ولكن. . كلا، فقد كانت الغرفة حالكة الظلام ولا يستطيع رؤيتي وأنا أفتح الباب. لذلك ظللت أدفعه في انتظام. وأطللت برأسي. كنت على وشك إضاءة المصباح عندما انزلقت يدي فأحدثت صوتا، وهب الكهل من فراشه صائحا (من هناك؟) ظللت ساكنا ولم أفه بكلمة. ومكثت ساعة كاملة دون أن تتحرك عضلة في جسمي. ولم أسمعه يرقد ثانية. كان لا يزال جالسا في فراشه يتسمع مثلما كنت أتسمع ليلة إثر أخرى.

ثم طرق أذني أنين خافت، أنين من الرعب المميت. لم يكن أنين ألم أو شجن. . . كلا، كان صوتا خافتا مخنوقا يرتفع من أعماق روح امتلأت رعبا ووجلا. وكنت أعرف ذلك الصوت جيدا، وأدرك ما يشعر به الكهل ولذلك كنت أشفق عليه وأنا أقهقه من أعماق قلبي! وتصورته راقدا مستيقظا تزداد مخاوفه كلما تقلب على الفراش، ويحاول

أن يتغلب عليها وهو يوهم نفسه بأن ما حدث مجرد أوهام. وتخيلته يتحدث إلى نفسه قائلا (إنه حفيف الريح داخل المدخنة - إنه فأر صغير يعبر الغرفة) نعم، كان يحاول أن يسري عن نفسه بشتى الافتراضات دون طائل، دون جدوى، ألأن الموت كان يقترب منه رويدا رويداً ويطارده بشبحه الأسود، ويحيط به من كل جانب. وكان تأثير ذلك الشبح عليه هو الذي جعله يدرك وجود داخل غرفته دون أن يراني او يسمعني. وانتظرت وقتا طويلا بصبر عجيب دون أن أسمعه يرقد. ثم عزمت على إضاءة المصباح قليلا. قليلا جدا، وخرجت شعاعة واحد ة. . شعاعه كأنها خيط العنكبوت. خرجت من فتحة المصباح فتسقطت على عين العقاب. كانت مفتوحة تماما، فصف بي غضبي من رؤيتها، وكانت واضحة أمامي بلونها الأزرق وغلالتها الشفافة، فأصابتني رعدة شديدة تغلغلتفي ذات نفسي حتى وصلت إىل عظامي ولم أر من وجه الكهل أو جسمه سواها، وكأنها وجهت الشعاعة بشعور غريزي لا إرادي إلى تلك العين الملعونة بالذات. ألم أخبرك أن ما تعتقده جنونا ليس إلا إرهاف الحواس؟ ثم وصل إلى سمعي صوت خافت سريع التردد. كأنه صوت ساعة مغلقة بالقطن. فعرفت ذلك

الصوت. إنه نبضات قلب الكهل، فاستشطت غضبا وامتلأ قلبي غيظا وحقدا. ومع ذلك ظللت ساكناً وحبست أنفاسي. وأمسكت بالمصباح دون أن أتحرك وقد سلطت الشعاعة على عينه. كانت ضربات قلبه تزداد وترتفع صوتها في سرعة غريبة. واستنتجت أن الكهل قد وصل رعبه إلى أقصاه. وارتفع الصوت، وتعالى. ألم أخبرك أنني عصبي؟ نعم لقد كنت في حالة عصبية شديدة. وولد ذلك الصوت في نفسي، في ذلك الوقت المتأخر من الليل، وبين ذلك السكون المطبق الموحش، ولد في شعورا من الرعب لا يقاوم. ومع ذلك ظللت صامتا ساكنا. وكانت الضربات تتعالى ثم تتعالى حتى خلت أن قبله على وشك الانفجار. ثم تملكتني ثورة جديدة! ألا يجوزأن يسمع الجيران ذلك الصوت؟ إذن فقد حانت ساعة الكهل!

وصحت صيحة مدوية، وأضأت المصباح ثم قفزت إليه. فصرخ صرخة واحدة! وفي لحظة كنت قد سحبته إلى الأرض وألقيت فوقه الفراش. ثم ابتسمت في رضاء. لقد أنجزت أخيرا مهمتي. لقد مات الكهل. وأزحت الفراش وفحصت الجثة. نعم كان ميتا كالحجر. ووضعت يدي على موضع قلبه وتركتها لحظة. لم يكن هناك نبض. لقد مات حقا، ولن تعود

عينه تضايقني بعد الآن. إذا كنت لا تزال تظن أني مجنون، فإن ما قمت به من احتياطات وما فعلته لإخفاء الجثة سوف يبدد هذا الظن. كان الليل على وشط الرحيل فبذلت همة ونشاطا، وقمت بإنجاز العمل في سكون. قطعت أطراف الجثة، ثم انتزعت ثلاثة ألواح خشبية من أرض الغرفة، وحفرت في موضعها، ثم أخفيت الجثة فيها، وأخيرا وضعت الألواح في مكانها. وعادت الغرفة إلى ما كانت عليه.

كانت الساعة قد أشرفت على الرابعة عندما انتهيت من كل شئ، وكان الظلام لا يزال مخيما. وعندنا دقت الساعة دقاتها سمعت صوت طرق على باب الدار، فنزلت أفتح بقلب مطمئن - فماذا يخيفني الآن؟ وجاء ثلاثة من رجال الشرطة، وشرحوا لي أن تحدا ابلغهم سماع صرخة صادرة من الدار. وابتسمت، ما الذي يخيفني الآن؟ ورحبت بهم، وقلت إن الصرخة صدرت مني أثناء نومي وأنا أحلم. وادعيت أن الكهل على سفر. وطلبت منهم أن يفتشوا الدار. . يبحثونها جيدا. وأخيرا أوصلتهم إلى غرفة الكهل. وأطلعتهم على ثروته دون أن يمسها أحد. كنت واثقا من نفسي كل الثقة، ولذلك أحضرت إليهم مقاعد وأجلستهم في الغرفة حتى يستريحوا من عناء البحث. وجلست أنا

المنتصر في وقاحة على أحد المقاعد بعد أن وضعته على المكان الذي ترقد فيه الضحية. وكنت أجيب على أسئلتهم في سرور. وجعلوا يتحدثون ويثرثرون وأنا أستمع إليهم في رضاء. ولكن لم تمض فترة طويلة حتى شحب وجهي، وآلمني رأسي وسمعت طنينا في أذني، فتمنيت عندئذ أن يرحلوا، ولكنهم ظلوا جالسين يتجاذبون الحديث، وعلا الطنين وازداد وضوحا، واستمر يتعالى ويتعالى. وارتفعت عقيرتي بالحديث حتى أتخلص من هذا الشعور المؤلم، ولكنالطنين زاد وضوحا، فتيقنت أخيرا أنه لم يكن مبعثه أدني. ولم يكن هناك أدنى شك في أني كنت شاحب الوجه. ولذلك طفقت أتكلم في طلاقة وبصوت حاد ومع ذلك ارتفع الطنين. ما الذي أستطيع فعله؟ لقد كان صوتا مروعا كأنه (صوت ساعة مغلقة في قطن!) وأسرعت أنفاسي ونظرت إلى رجال الشرطة فظهر لي أنهم لم يسمعوا ذلك الطنين. وجعلت أهذي في حديثي وأثرثر وازداد صوتي حدة. ولكن الطنين كان يرتفع في انتظام. وقمت وتجادلت في شتى المواضيع التافهة بصوت عال وإيماءات متعددة، ولكن ذلك الطنين كان يطغى على صوتي. وسألت نفسي لماذا لا يرحلون؟ وذرعت الأرض جيئة وذهابا بخطى ثقيلة. ولكن الصوت

ذلك الصوت! أواه. . يا الهيمال الذي أستطيع عمله؟ وعلى مرجل غضبي. وتمتمت وأقسمت وضغطت بالمعقد على الأرض وصررت به على الألواح الخشبية. ولكن ذلك الصوت. . كان لا يزال يرتفع تدريجيا. . وأستمريتعالى في شدة. . في شدة. . في شدة! وما زال الرجال يتحدثون ويمزحون ويتضاحكون. هل من المحتمل أنهم لا يسمعون شيئا! يا الهي! كلا. . كلا! لا بد أنهم سمعوه! واشتبهوا! وعرفوا! إنهم يسخرون من وعي! ذلك ما ظننته وذلك ما أظنه. وما أفظعن من عذاب! وما أبشعها من سخرية! إني لا أستطيعاحتمال هذه الابتسامات المنافقة بعد ذلك! وشعرت أنه يجب على أن اصرخ. . ولكن هذا الصوت كان يزداد وضوحا. . وصرخت فيهم قائلا (أيها الأشرار انفضوا. . إني أعترف بارتكابي الجرم! انزعوا الألواح هنا! هنا! هذا الصوت هو خفقان قلبه. . . قلبه الواشي المختبئ هناك!).

الطالع

اندروز روبرتسن

قال له وهو يعد له طعام إفطاره - هذه رسالة لك.

- أشكرك ولكن ما الذي أعددته لي هذا الصباح؟

- كما ترى، بعض الكعيكات والبيض والخبز والشاي.

وجعل يتناول الطعام وهو يتساءل، من الذي بعث بهذه الرسالة؟ وتأمل الغلاف، لقد حول إليه من محل إقامته السابق. من الذي يراسله في هذه الساعة؟ لعله أحد الدائنين يطالبه بما له من مال. أن مثل هؤلاء لا يتركون الإنسان في راحة أبدا!

ولكنه كان قد عزم على أن لا يفسد عليه شيئاً لذة تناوله الطعام لكم تحسن الطهي عن أيامه السابقة. وتذكر، كان لا يعتقد أنه سيستسيغ هذا الطعام يوما ماز ولكن، كم كانت دهشته عندما وجد معدته قد تهيأت له واعتادت عليه.

وانتهى من طعامه، فقرر أن يقر الرسالة. ففض الغلاف وقرأ:

(سيدي الفاضل - أبعث إليك بطالعك كما أردت. وقد اختصرت من المصطلحات الفلكية قدر استطاعتي، وجعلت رسالتي قاصرة على مستقبلك.

(حقا إنك رجل مجدود. ذلك ما أثبته طالعك. وأود أن أقول أنه قل أن أجد مستقبلا باهرا بين من اكشف عن طالعهم مثل مستقبلك. فدعني أهنئك تهنئة حارة.

إني شديد الأسف لتأخري في الرد عليك. ولكن رسالتك كانت قد وصلتني متأخرة، ولعل ذلك يرجع إلى خطأ من البريد.

أخيرا دعني أشكر الفرصة التي واتتني لدراسة مستقبلك المخلص. . . أستاذ علم العرافة.)

كان قد انتهى من شرب قدح الشاي، فأشعل لفافة بعد أن قدم غيرها لآخر، ثم جعل يقرأ طالعه وهو ينفث الدخان من صدره.

(أن تاريخ ميلادك وهو، ٤ فبراير كما تقول رسالتك تدل على انك من مواليد برج (الدلو) تحت علامة (حامل الماء)، العلامة الحادية عشرة من منطقة الأبراج. وهي علامة تصاعدية ترمز إلى الجيل المقبل، الجيل العظيم.

(وأهم ما يميز مواليد هذا البرج أنهم لا يبالون بالتقاليد، بل كل همهم ينصب في البحث عن الحقائق. ولذلك تجدهم يتحلون بشجاعة لا نظير لها، وعقلية مرنة متزنة. ويميلون إلى العمل جماعة، وفي اتحاد متين.

(وهم مثاليون في علاقاتهم الغرامية، وأسخياء في حبهم، يجودون بكل شيء في سبيل ذلك الحب.

(ومواليد هذا البرج يفضلون العمال الذهنية ويبرزون في أعمال الجيش والحكومة. وهم معرضون للنقد، ولكنهم يواجهونه في شجاعة فائقة.)

(واكتفى من قراءة هذا القدر من الرسالة. ثم أعطاها إلى الآخر، فألقى عليها نظرة، وأخيرا أعادها إليه قائلا - إنها لا تفيدني في شيء، فأنا من مواليد شهر يوليو.

وتناول منه الرسالة وعاود القراءة) لقد اجتزت حياتك الأولى في مشقة. ويبدو أنك الآن في مركز حرج. ولكنك سرعان ما ستتغلب على المصاعب، وتبدأ في طلب ما تتمناه من الحياة. . .

(إنك تميل إلى الناحية العلمية. والعمل الجدي في هذه الناحية سيولد لك العجائب. لقد سبق لك أن فكرت في ذلك، واهتممت بالمخترعات. إن النجوم تشير إلى انك

ستقوم باختراع ما، يغير من مستقبلك. وستأتيك الثروة بعد أن تجتاز الكثير من الصعاب. وسيأخذ منك اختراعك بعض الوقت. ولكنك ستصبر وتصبر لأنك تدرك بأنك ستصل حتما إلى ذروة المجد. وعندما تعتقد أنك فقدت الأمل ويتملكك اليأس ينقلب كل شيء انقلابا مفاجئا في صالحك، وعندئذ تقبل عليك الثروة، ويأتيك الجاه.

لقد شقيت كثيرا في حياتك الأولى، ولذلك ستحافظ على كل قرش تكسبه. وفي الحق، فإن المال يجلب المال. وستهتم بالناحية الصناعية اهتماماً يؤدي بك إلى أن تصبح ملك الصناعة.

أما عن حياتك الخاصة، فإن علامتك تدل على أنك في صحة جيدة. ولكنك في حاجة إلى الرياضة لتظل كما أنت. ولحسن الحظ يبدو انك تقوم بذلك عن طريق التعود. ولكن يجب أن توجه عنايتك إلى عينيك وعنقك وقدميك والدورة الدموية في جسمك. وستنتابك بعض السقام وسرعان ما ستتغلب عليها. وهناك من الدلائل ما يشير على أنك ستعيش عمراً مديداً.

(وأما عن حياتك الغرامية فإن النجم يشير إلى إنك ستتزوج خلال شهر يونيو، وهو الشهر المفضل لديك. أن

حياتك الزوجية ستكون في مد وجزر، ولكنها - على أية حال - ستغمرك بالسعادة. والنجوم تشير أيضاً إلى أنك ستكون رب عائلة وستنجب ذرية - أربعة أولاد - سيكون لها شان كبير في الحياة. وستفتخر بك عائلتك، وستعيش زوجك من بعدك، ولكنك ستعيش حتى ترى ذريتك في أوج شبابها.

(وستسمع أثناء حياتك الطويلة عن حروب ولكنك لن تشترك وعائلتك فيها. وستتغير أحوال العالم الاقتصادية ولكنها لن تؤثر عليك.

(وعندما يحين الحين وتقابل باريك، فالنجوم تبين أن نهايتك ستكون نهاية هادئة. أن كل الدلائل تشير إلى أنك ستموت أثناء نومك.

(وأخيرا دعني أهنئك تهنئة حارة بحسن طالعك)

وانتهت الرسالة، وانتشرت على وجه قارئها ابتسامة فاترة. ثم أشعل لفافة أخرى، وأخيرا ناول الآخر الرسالة قائلا - ما رأيك في هذه الرسالة؟ فقرأها ثم أجاب - أنها مسلية للغاية!!

وما أن انتهى من كلامه حتى سمعنا صوت وقع أقدام تسير في الممر، ثم فتح الباب ودلف منه حاكم السجن

ورئيس حراسة والطبيب والكاهن. وخاطب صاحب الرسالة قائلا - هل أنت على استعداد للقيام بنزهتك الأخيرة؟

فأجابه وهو يرمقه بنظرة باردة عميقة من عينيه الزرقاويين نعم، إني على استعداد.

وسار وبجانبه حارسه الذي كان يلازمه في سجنه وقد أحاط بهما الركب حتى أدى بهما السير إلى فناء السجن في صباح يوم من شهر يونيو، واقتربوا من تلك المنصة الخشبية التي أقيمت عليها. . . المشنقة؟

obeikandl.com

المهرج
ماكسيم جوركي

كانت النافذة المستديرة المرتفعة لزنزانتي تطل على فناء السجن. فإذا ما نظرت منها بعد أن أعتلي منضدة بجوار الحائط، أشاهد كل ما يحدث في هذا الفناء، وأراقب الحمام يبني عشه على الحافة العليا من النافذة، وأسمع هديله يتعالى فوق رأسي. وكان لدي من فسيح الوقت ما يسمح لي بالتعرف على نزلاء السجن كلما أطللت عليهم. وهكذا عرفت بوتش أكثر السجناء مرحا. كان رجلا وسطا، ضخم الجثة، أحمر الوجه، عريض الجبهة، براق العينين، يرتدي قلنسوة على مؤخرة رأسه، وقد التصقت أذناه على جانبي وجهه في شكل يلفت الأنظار. وكانت كل حركة من حركات جسمه تبين في جلاء أنه يمتلك روحا لا تبالي بالكآبة والحزن. لقد كان دائم المرح، كثير الضحك، محبوبا لدى رفاقه، يحوطونه فيمازحهم بمختلف الدعابات، ويضفي على أيامهم الباهتة، جوا من البهجة والسرور.

وفي ذات يوم خرج نوتش من زنزانته وقت النزهة وقد قيد ثلاثة جرذان بخيط، وجعل يعدو وراءها في الفناء وكأنه يقود مركبة. فاندفعت الجرذان وقد أرعبها صياحه، اندفعت منطلقة في ذعر وجنون. وضج السجناء بالضحك يشاهدون ذلك الرجل البدين وهو يقود (مركبته).

كان نوتش يعتقد أنه ما خلق إلا ليجذب إليه الأنظار. وكان لا يعوقه عائق في سبيل ذلك. لقد استطاع ذات مرة أن يلصق شعر أحد السجناء بالغراء بحائط الفناء. كان السجين صبيا مستلقيا على الأرض بجوار الحائط وقد أخذته سنة من الكرى. وعندما جف الغراء، أيقظه نوتش فجأة، فهب الصبي من نومه مذعورا وقام على قدميه، ثم أمسك رأسه بيديه المتخاذلتين، وأخيرا سقط على الأرض يبكي. وقهقه السجناء من ذلك المنظر وابتسم نوتش في رضاء. ولكني شاهدته بعد أن ابتعد رفاقه يرفه عن الصبي ويطيب خاطره.

وكان هناك هر سمين نحاسي اللون، محبوب لذى السجناء، ومدلل منهم. ينتهزون وقت نزهتهماليومية فيداعبونه فترة طويلة، ويمر الهر من يد إلى أخرى، ثم

يعـدون وراءه، ويدعونـه يخـدش أيـديهم وأرجلهـم وهـو يلاعبهم.

وكـان الهـر محـط أنظـارهم عنـدما يبـدو فـي الفنـاء، فيوجهـون إليـه اهتمـامهم وينسـون نـوتش ومهازلـه. وكـان نـوتش إذا رأى مـا رأى ذلـك يجلـس فـي ركـن مـن الفنـاء يـراقبهم وهـم فـي غفلـة عنـه. وكنـت أشـاهده مـن نافـذتي وأشعر بما يختلج في صدره من شعور وأحاسيس، فأعتقد أنه سيضطر أن عاجلا أو آجلا إلى قتل ذلك الحيوان عند أول فرصة سانحة تسنح له ولذلك كنت آسفا عليه. أن رغبة افنسان في أن يكون محط الأنظار غالبا ما تصبح وبالا عليه. فإنه لا يوجد ما يقتل الروح كتلك الرغبة في إدخال السرور على النفوس.

إن أتفه الحوادث عندما يكون المرء وحيدا، منفردا، حبيسا في سجن، لتسترعي انتباهه، فيوليها اهتمامه. لذلك كان من السهل أن تفهم سبب اهتمامي بما أتتبعه من حوادث من وراء نافذتي، وتلهفي إلى معرفة نتائجها.

وفي ذات يوم صفت سماؤه، اندفع السجناء إلى الفناء. فلاحظ نوتش دلوا به طلاء أخضر، كان قد تركه من يقومون بطلاء سقف السجن. فتوجه إليه، وحام حوله، ثم غمس

إصبعه فيه، ثم صبغ شاربه بالطلاء. فأثار منظره ضحك السجناء. وعمد صبي من الزمرة إلى تقليده، فجعل يدهن شفته العليا. وإذا نوتش يغمس يده كلها بالطلاء ويصبغ وجه الصبي، ثم جعل يرقص حوله. وضج السجناء بالضحك وهم يشجعون نوتش في صيحات تدل على رضائهم عما يفعله.

وفي ذات اللحظة أقبل الهر يتهادى في الفناء وقد رفع ذيله غير هياب ولا وجل، وسار بين أقدام الحشد المتزاحم حول نوتش والصبي الذي كان يحاول أن يزيل ما علق على وجهه من طلاء.

فصاح أحدهم - أيها الرفاق، أن ميشكا هنا!

وصاح آخر - آه أيها الأفاق الصغير!

ثم أمسكوا به، ومر في أيديهم الواحد تلو الآخر وهم يربتون على ظهره. .

وقال أحدهم - انظروا كم هو سمين!

- وكيف ينمو بسرعة!

- إنه يخدشني. يالك من شيطان صغير!

- أتركه. دعه يثب.

- سأحني ظهري له. اقفز يا ميشكا.

ونسوا نوتش، فوقف وحيدا يمسح الطلاء العالق على شاربه، وينظر إلى الهر يقفز على أكتاف زملائه. أخيرا قال في نبرات تشوبها التوسل والرجاء - أيها الرفاق، دعونا نطلي الهر.

فصاح واحد - ولكنه يموت.

فقال - من الطلاء!؟ هراء!

فقال رجل عريض الكتفين ذو لحية حمراء - يا لها من فكرة غريبة! إنك لشيطان حقا!

ولم ينتظر نوتش موافقتهم، بل حمل الهر بين يديه وسار به نحو الدلو وهو ينشد أنشودة مضحكة يصف فيها الهر. ويبتسم السجناء وابتعدوا يفسحون له طريقا. وشاهدته وقد أمسك بالهر من ذيله ثم غطسه في الدلو وهو يرقص وينشد. وقهقه الجميع، واهتزت الأجسام، وأطل النساء السجينات من جناحهن يبتسمن، وشاركهن الحراس الضحك. وأخيرا صاح ذو اللحية الحمراء - كفى أيها الرجل. فليأخذك الشيطان!

وازدادت حماسة نوتش بعد أن ألتف حوله رفاقه، وبعد أن أصبح محط أنظارهم ومبعث سرورهم. وغمر المكان ضحكات جنونية كانت الشمس تضحك وهي تشرف على

البناء، والسماء الزرقاء تبتسم فوق السجناء، وحتى الحوائط القذرة فقد بدت وكأنها مهيجة بما كان يحدث في الفناء. وافترت ثغور النساء فتلألأت أسناهن تحت أشعة الشمس. وانزاح ذلك الفتور القابض الذي كان يبعث في المكان جوا من السأم والملل، وأصبح مشرقا تترد في أنحائه صدى الضحكات.

وأخيرا وضع نوتش الهر على الأرض، ثم واصل مرحه وهو يلهث والعرق يتصبب منه، وشيئا فشيئا تلاشى الضحك بعد أن تعب السجناء منه، وأخيرا ران على المكان الصمت لا يقطعه إلا صوت نوتش وهو ينشد ويرقص، وماء الهر وهو يزحف على الحشائش، ويتعثر في سيره بأقدام مرتعشة، ويقف بين الفينة والفينة كأنم التصق بالحشائش الخضراء التي أصبح من المتعذر تمييزه عنها.

وصاح ذو اللحية الحمراء - ما الذي فعلته أيها الوحش؟

وتطلعت إلى نوتش الأنظار شرزا. وصاح شاب وهو يشير إلى الهر - أنه يموء. فجعلوا يراقبونه في صمت.

وقال آخر - أيظل أخضر اللون بقية حياته؟

فأجاب رجل ممشوق القامة أشيب الشعر وقد اقترب من ميشكا - أنه جف في الشمس، وسيلتصق شعره، وسيموت.

وظل الهر يموء فيثير بذلك شفقة السجناء؛ وسأل الصبي قائلا - أيموت؟ إلا نستطيع أن نغسله؟ فلم يفه أحدهم بكلمة. كان الهر قد ارتمى تحت أقدامهم عاجزا عن التحرك. وتهالك نوتش على الأرض وهو يقول (لقد غرقت عرقا!)، فلم يأبه أحد. وانحنى الصبي على الهر وأخذه بين ذراعيه. ولكنه سرعان ما أن لاقاه على الأرض وهو يقول - إنه ساخن جدا. ثم نظر إلى رفاقه وقال في حزن - مسكين يا ميشكا! لن يكون هناك ميشكا بعد اليوم. لماذا تودون قتل ذلك المسكين؟

فقال ذو اللحية الحمراء - لعله يتغلب على الموت.

وواصل الهر زحفه على الحشائش تراقبه أعين عشرون. ولم يبد على وجوه القوم أي أثر لابتسامه. كانوا جميعا صامتين واجمين في حزن كأنما اتصلت بهم آلام الهر وشعروا بما يشعر به من عذاب. وقال الصبي - لا أظنه يتغلب على الموت. هالك ميشكا الذي كنا نحبه. لماذا تعذبونه؟ أنه لمن الأفضل وضع حد لآلامه.

فقال السجين ذو الشعر الأحمر غاضبا - ومن الذي فعل ذلك؟ أنه ذلك المهرج. ذلك الشيطان. فقال نوتش محاولا

أن يهدئ من ثائرتهم - ألم نشترك سوية في ذلك الفعل؟ ثم احتضن نفسه كأنه يشعر بالبرد.

فقال الصبي - كلنا! عظيم جدا! إنك وحدك الملوم.

فحذره نوتش قائلا - لا تهدر أيها الثور!

والتقط السجين الكهل الهر وجعل يتفحصه جيدا ثم اقترح قائلا - ألا نستطيع إزالة هذا الطلاء إذا ما جعلناه الهر يستحم في البترول؟

فقال نوتش وهو يتكلف الابتسام - خذه من ذيله واقذف به من فوق الحائط. أن ذلك أبسط حل للمشكلة. فزمجر ذو الشعر الأحمر قائلا - ماذا؟ لنفرض أني قذفت بك أنت فوق الحائط، أيعجبك ذلك؟ وصاح الصبي - أيها الشيطان.

ثم أمسك بالهر وعدا به. وتبعه بعض الرجال. وظل نوتش وحيدا بين البقية الباقية من السجناء وهم ينظرون إليه شزرا. فصرخ فيهم مستغيثا لست أنا وحدي أيها الرفاق.

فقاطعه ذو الشعر الأحمر وهو يلتفت يمنة ويسرة - صه، لست أنت. إذا من؟

فصاح المهرج قائلا - ولكنكم مشتركون جميعكم في المسألة.

فقال الرجل - أيها الكلب. ثم لكمه على وجهه. فتراجع نوتش إلى الخلف ليتلقى ضربة أخرى في عنقه. وجعل يصيح فيهم متوسلا (أيها الرفاق. .) ولكنهم التفوا حوله بعد أن تأكدوا من بعد الحراس عنهم وأسقطوه على الأرض يشبعونه ضربا. كان كل من يراهم مجتمعين يعتقد أنهم مشتركون في حديث ودي، ورقد نوتش تحت أقدامهم، وكنت تسمع من وقت لآخر صوتا مكتوما كانوا يركلونه فيضلوعه، يركلونه في تؤدة وهدوء، وينتظرون حتى يظهر منه وهو يتلوى على الحشائش كأفعى فرجة تسمح لهم بركلة مرة أخرى. واستمر ذلك ثلاث دقائق صاح بعدها أحد الحراس فجأة: لا تبتعدوا كثيرا أيها الشياطين!

ولم ينفض السجناء في الحال، بل تركوا نوتش يركله الواحد تلو الآخر، وظل نوتش راقدا بعد أن رحلوا منبطحا على الأرض وكتفاه يهتزان، كان يبكي في حرقة، وظل يسعل ويبصق، ثم حاول أن ينهض في حذر كأنما يخشى السقوط وقد أرتكن على ذراعه اليسرى، ولكنه نبح كالكلب المريض، ثم تخاذلت ساقاه، وأخيرا تهالك على الأرض. وصاح ذو الشعر الأحمر مهددا: إياك أن تتظاهر!

فتحامل نوتش على نفسه وقام على قدميه، ثم سار يترنح في خطوات ثقيلة، وأخيرا ارتكن على الحائط، وقد انحنى ظهره ورأسه، وكان يسعل باستمرار، فشاهدت قطرات قاتمة تتساقط من فمه على الأرض وتتناثر على الحائط. وحاول نوتش جاهدا أن يمنع قطرات الدم من أن تلوث الحائط، فجعل يمسحها بطريقة مضحكة. وإذا بالابتسامة تعود فتشرق على وجوه من يراقبونه وإذا بالضحكات تعود فترن في أنحاء الفناء.

ولم أر الهر بعد ذلك. . . وأصبح نوتش محط أنظار رفاقه دون أن يكون له مزاحم آخر!

رجل وامرأة[1]

لوي جربيو

كان الدرج يؤدي إلى الفناء، وقد جلست المرأة بأسفله تبكي وتنتحب طول الصباح. كانت في منتصف العقد الرابع من عمرها سمراء ممشوقة القد ضعيفة البنية، وظلت تنشج بالبكاء، وتتمتم بكلمات مبهمة كأنها تتوعد من حولها. وكم ذهب إليها الجيران يحاولون الترفيه عنها وإرشادها إلى عين العقل دون جدوى. كانوا يقولون لها: لا يصح أن تثوري كل هذه الثورة. من الأفضل لك أن تصعدي إلى شقتك. إنك ستصدعين رأسك ببكائك المتواصل. (وهل يجدي البكاء؟) ولكها كانت تجلس وكأنها لا تعي كلماتهم. ما شانهم في ذلك؟ أليست هي حرة تفعل ما تشاء؟ وصاحت في أعماق نفسها (لقد سئمت كل شيء).

وكانت أحياناً ترتكن برأسها على السور الحديدي للدرج تحاول النوم دون جدوى. ثم تخفي وجهها بين يديها

[1] (هذه ليست قصة بالمعنى المقصود منها، ولكنها صورة صادقة من صورة الحياة التي نجدها في كل بقعة من بقاع العالم وفي كل زمان من أزمنته) (المترجم)

وتبكي في حرارة، فيسيل الدمع من بين أصابعها كما يسيل الماء من نبع لا ينضب. وتأوهت، ثم انتابها موجة من الصمت وهي تتلفت حولها بلا غاية. وأخيراً جلست دون حراك وقد أرتكن ذقنها على راحة يدها، ومرفقها على ركبتيها في ذلك الوضع الذي يفضله الرجل عندما يؤوب من عمله. أن هذا أول ناحية من نواحي انتقامها. لقد طافت بها الأفكار منذ أن بدأ الشجار إلى أن تحول هذا التحول على أية حال، ليس الآن إلا التفكير فيما قد حدث.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي لجأت فيها إلى الدرج. كم كان ذلك يغضبه أشد الغضب. ولكن. . . أليس هذه ما توده هي؟. . لم تستطع الإجابة على هذا السؤال. لقد كان من المستحيل عليها أن تقوم بأي عمل آخر، فالتجأت إلى الدرج. إنه بالطبع يستطيع أن يهددها بأن يعتد عليها بالضرب. ولكنها كانت واثقة بأنه أن ينفذ تهديداته التي تصدر منه أثناء غضبه. فمهما فعلت فإنه لن يهجرها أبداً. لعل هذا هو السبب في أنها تزداد تهوراً.

كان الناس يصعدون ويهبطون ويمرون أمامها، فيلقون عليها نظرة إشفاق، أو يرنون إليها في دهشة، أو يهزون أكتافهم. وكانت تتظاهر بعدم رؤيتهم، ولا تتحرك، حتى لو

اندفع شخص نحوها وتخطاها، ولطم إحدى يديها، لظلت ساكنة دون أن تتحرك. ولعلها كانت تود ذلك. قالوا لها إنه قد أزف الوقت لتعود إلى شقتها، فلم تجب، ولماذا تعود؟ وهل جلست هنا لتجيب على مثل هذه الأسئلة؟ وهل مكثت لتكون موضع شفقتهم؟. . كلا. . . إن شفقتهم لا تعنيها في شيء. لقد جلست هنا ليشاهدوها، وليعرفوا كيف أوصلها هو إلى هذه الحالة، وأي نوع من الحياة تحياها، وحتى يعرف هو الآخر أنهم قد شاهدوا وأدركوا حالها. نعم أن هذا هو ما ترغبه الآن. . . على الأقل. إن أول جزء من برنامج انتقامها. وكانت في كل مرة يتحدثون معها، تجيبهم بإطلاق العنان لعبراتها وهي تحاول أن تجد موضعاً صريحاً تسند عليه (رأسها المسكين) بشعره المهوش الذي لم تهتم حتى بترتيبه.

كان الشجار قد بدأ مبكراً، ولم تمر الساعة الثامنة إلا وكانت على الدرج. ولن تبرح مكانها فإنه لا يوجد ما يؤدي بها ال التفكير في مبارحته. ها هو ذا الظهر د أقبل، وسيعود هو بعد لحظات. ما الذي سيقوله لها؟ لعله سيحدث ما حدث في المرة السابقة، فيمر عليها دون أن يعيرها انتباهه. ولكنه لن يظل وحيداً في الشقة أنه لم يحتمل هذه الوحدة -

آخر مرة - أكثر من ربع ساعة ثم عاد يبحث عنها. ومما لا شك فيه أن ذلك سيحدث ثانية.

لقد تركها والغضب يعصف به. وصفق الباب وهو يقسم أن هذه هي المرة الأخيرة. . . المرة الأخيرة. أنه لا يستطيع احتمال هذا المسلك الجنوني. ولكنه سيجد عندما يصل إلى مقر عمله من فسيح ما يسمح له بالهدوء والتفكير في تؤدة.

وفتح باب الفناء، وميزت وقع أقدامه. ولم تتحرك عضلة من عضلات جسمها، وانقلب كل شيء فيها ساكناً، وقد تركز كل كيانها في الاستماع إلى وقع خطواته، وبدت كأنها لا تشعر بما يدور حولها. واقتربت الخطوات. سرعان ما ستراه. ولكنها ظلت دون حراك وقد أرتكن رأسها على سور الدرج. وأغمضت عينيها نصف إغماضه وهي تنتظر. وكاد أن يتعثر فوقها، وعرته دهشة بالغة، ثم تراجع وهو يحاول أن يستعيد رباطة جأشه وقد أغمض عينيه كان رجلاً بديناً في الحلقة الرابعة من العمر، يرتدي زي الكتبة، وقد أمسك بمظلة.

وتمتم قائلاً في صوت خال من الغضب - ما الذي تفعلينه هنا؟ فلم تجبه وابتدأ القلق يساوره، وغاض الدم من وجهه،

وارتجفت اليدان وهما تقبضان على المظلة. ثم اكتسحه شعور من الضعة لا نهائي وإحساس بالاحتقار لا حد له. ووقف دون حراك بجوا المدخل. كان الضوء يسقط عليه من الخارج، فلم تستطع تمييز ملامحه. وظهر لها كأنه شبح بدين يحمل مظلة. ثم ردد في صوت خافت وكأنه يتحدث إلى طفل - ما الذي تفعلينه هنا؟ فلم تجب. لا بد أنها مكثت هنا ساعات. وهز كتفيه. إذن لا توجد نهاية لذلك. وجعل يفكر في شجارهما هذا الصباح، ويلوم نفسه. . . ولكنه كان يأمل.

- أتعتزمين البقاء هنا؟ فلم تجب. وكانت لهجته تنذر بانفجار بركان غضبه. وكان يلاحظ ما يختلج في نفسه من عواطف ثائرة، ويعرف أن غضبه ينهكه، فقال - هيا. . . دعينا نصعد إنه أنه لغباء. . .

وولدت كلمة (الغباء) في عينيه نظرة من الشراسة. وتنهد في حزن وقال: (يا لها ن حياة! كل ذلك لأجل ماذا؟) وجعل يتفحصها بنظراته بإمعان. وكأنما عزم أن يعمل ما في وسعه ليحل المشكلة فهز رأسه يمنة ويسرة ثم قال - حسن. . ماذا؟ ما الأمر؟ ولم يكن هذا ما يود أن يقوله، ومع ذلك سيان عنده أقال ما قاله أو تفوه بشيء خلافه. وابتدأ يصعد الدرج. ولكنه سرعان ما استدار فجأة وصاح في صوت

جفلت منه: (والطفلة؟) وانحنى فوقها، وشعرت بأنفاسه تهب على شعرها. الطفلة؟! لم تكن قد أعارتها أدنى اهتمام. أن نسيانها الطفلة كان ولا شك جزءاً من انتقامها. ومع ذلك شعرت بالقلق يستحوذ عليها.

- ما الذي فعلته بالطفلة؟

وخيل إليها أنه سيهم بضربها، ولكنها كانت قد صممت على ألا ترد عليه. ثم شعرت برأسها يدور. إنها حقاً لم تهتم بالطفلة.

- أجيبي! ها هو ذا قد انفلت منه زمام غضبه. ونزل الدرج، ثم وقف أمامها، وأسند مظلته على الحائط، ومد يده تلمس طريقها إلى وجهها التي تخيفه. ثم قال في صوت هادئ - متى، متى ستكفين عن تعذيبي؟ متى. . . متى - أواه، يا إلهي؟. . .

كانت ثورة نفسه لا تحتمل. وعادت به الذاكرة فجأة إلى الليلة التي هربت فيها. تلك الليلة التي ظل يبحث عنها طويلاً وهو يخشى أن تكون قد ألقت بنفسها في النهر. .

- تكلمي! ووضع يده على ذقنها، فلم تقاوم، ورفع وجهها. وطغى على نفسه شعور من الشفقة، فقال لها - لماذا أنت هكذا؟ وابتدأت شفتاها ترتعشان، وارتفع كتفاها،

وتمتمت بكلمات تعذر عليه سماعها فسألها - ماذا تقولين؟ فأجابت - لا شيء.

وفجأة تغير كل شيء، فقال. . . لا شيء! حقاً؟ إذن لماذا؟ لماذا؟ ألا تخبرينني بالله لماذا؟ ما الذي تقصدينه بما حدث في الصباح؟ وما الذي فعلته بالطفلة؟ لقد كنت عازمة على ذلك منذ الصباح.

وهزها وهو يصيح بعد أن عصف به غضبه، وقد كان يظن أنه ملك زمامه. إن هذه الانفجارات، وهذه التأسفات: هذا التحول من الشفقة والحنان إلى القسوة والشراسة تلتي تصحب دائماً مشاجراتهما، كانت كأنها تمثيل مرحي. وكم كانت تهده هداً وتستنفد قواه. ها هو ذا قد جرح شعورها، فهبت واقفة، تبتعد عنه وهي تصيح (أيها الوحش!).

وصاح صوت من أعلى الدرج قائلاً - أن الطفلة معنا. لا داعي للقلق. سنعطيها غذاءها.

ولم يجب في الحال على الرغم من شعوره بالطمأنينة. إن فكرة وجود جيرانه واقفين بأعلى الدرج يستمعون ويراقبون.

هدأت من غضبه. قالوا - ألا تسمع؟

فصاح - لقد سمعت. . . شكراً!

وبحركة آلية التقط مظلته وهو يتمتم قائلاً - (لقد عيل صبري، عيل صبري!) فالتفتت إليه زوجه بوجه متقلص وعينين جامدتين وقالت في صوت مختنق ورأسها يهتز (عيل صبرك، عيل صبرك، ممن؟) وكأنه قد عزم على الصمت، فظل ساكناً لا يفوه بكلمة.

- حسن، أني في انتظار ردك.

فقال - لقد سئمت الشجار.

- هل هذا كل شيء.

- نعم.

- إذن. . . هل أنا المسئولة عما حدث؟

فقال في تهكم - كلا. . . إنه صبي الجزار!

ثم انفجر ضاحكاً. كم كان جوابه مضحكاً! وسرعان ما تلاشى ضحكه عندما قالت - ماذا يهمك إذا كنت أتعذب؟

فأجاب - ليس هناك ما يجعلني أهتم. . . فتنهدت وتمتمت قائلة - إني أعرف ذلك. . .

وران عليها الصمت. هدوء مستمر. كان قد نسى تماماً أنهما لا يزالان على الدرج، وانه يشعر بالجوع وأنها لم تستعد بعد. . . نعم، لقد استسلمت نفسه مرة أخرى إلى سحر المشاجرة وسقط في الشرك طواعية. وأنشأ يتحدث

ويشرح لها كم هو تعس، ويصف لها لواعج قلبه. وود لو استطاع أن يقنعها.

- ألا ترين؟. . . إنها لغباوة أن يحدث ما حدث. . . وكم هو مضيعة للوقت! ألا تكفي مشاكل الحياة المعقدة؟. . إذن. . لماذا؟ لماذا؟. . . خبريني؟

ووضع يده على كتفيها وجذبها إليه قائلاً - هل انتهينا من الشجار؟

فوضعت خدها على خده وأخذت تبكي.

- كفى. . . كفى لا تبكي. لقد انتهى النزاع.

إن هذا الهدوء والحنان، وذلك الحديث عن الحب، هو كل ما توده منه. لقد نسيت تماماً كل شيء عداها. وقالت - هنري. . . فربت على خدها قائلاً - هيا نصعد. . . لماذا نظل واقفين هنا؟

فتبعته وهي تقول - أليس من الأفضل أن نستحضر الطفلة؟

- دعيها. . . من الأفضل تركها حيث هي الآن.

كانت الشقة على حالها منذ الصباح دون نظام أو ترتيب، ولم تزل النوافذ مغلقة، وروائح الليل تفوح في الشقة المظلمة. وخلع قبعته وظل ممسكاً بها لحظة، وتملكته

الحيرة. . . أين يضعها؟ وأخيراً ألقى بها والمظلة على مقعد. ثم وهو يراقبها تتوسط الغرفة وقد تدلى ذراعاها (حسن. . . حسن. . . ماذا؟).

وعبست عبوسة صبيانها، كأنها على وشك البكاء مرة أخرى. ومرت بيدها على جبينها.

- لقد أصابك الصداع!

- نعم، إنه مؤلم.

- ألم ننته بعد؟

فبكت من قلبها وهي تقول - أواه. . . نعم.

وأخذها بين ذراعيه وضمها غليه في حنان. كان يود أن يظل ساكناً دون أن يفوه بكلمة. ولكنه انشأ أن يتكلم مدفوعاً بنزوة لا تقاوم. فقال في حنان - لماذا تفعلين ذلك. . . لماذا. . .

فقال - وأنت؟

- أنا؟!

- نحن اثنان. . . فإذا كانت هذه الهفوات من جانب واحد فقط.

- ولكنها ليست غلطة أحد منا ذلك هو السبب.

- السبب في وجود الشجار؟

obeikandl.com

- نعم، ربما.

- على أية حال، لقد انتهى الغضب.

فقالت في لهفة: أوه. . . نعم.

- أتستطيعين أن تذكري ما الذي دار عليه الشجار هذا الصباح؟ أني لا أستطيع أن أتذكر. إنه لم يكن إلا كلمات، كلمات تافهة. لقد نسيتها تماماً. . . تكفي مشاكل العالم المقبلة.

لقد كانت تعرف طريقته في الجدال فقالت:

- لننس ما حدث!

وتراخت أذرعتهما، وابتعد عنها. ثم تهالك جالساً على مقعد وقال وقد ابتدأ يعود غليه غيظه.

- إنك امرأة لطيفة. . . ألم تقرأي صحف الصباح؟

يا له من سؤال! لكأنها تهتم دائماً بالصحف!

واستطرد يقول: بالطبع هناك مشاكل. أني أقول الحقيقة.

- أعرف ذلك. . .

فانفجر قائلاً: حسن، إذا كنت تعرفين ذلك جيداً، فما الذي تعنيه من. . . من مكوثك بهذا الشكل بالدرج تبكين على شيء لا يعلمه إلا الله. . .؟

- أوه. . اصمت.

ولكنه كان قد صمت قبل أن تتكلم، وجعل يفكر في كل ذلك وهو يتأملها. لقد كرهها. . . حقاً لقد كرهها. وأصبح يعافها ويشمئز من تهديداتها.

وسألها وهو يخرج ساعته من جيبه: ما الذي سنأكله؟

ثم هز رأسه قائلاً:

- لقد تأخر بنا الوقت.

فقالت: أستطيع تحضير بعض البيض والخضر أيكفي ذلك؟

- نعم.

واختفت في المطبخ، وتمدد على الفراش ينتظر. ما الذي قاله لها هذا الصباح حتى أثارها وجعلها على تلك الحالة؟ وجعل يفكر ويفكر دون أن يتذكر. وسمعها تقوم بأعداد الطعام بالمطبخ فناداها: مارسيل.

فأجابت وقد توقفت لحظة من عملها: نعم.

- ما الذي قلته هذا الصباح حتى. . .؟

ولم تفه بلحظة ثم قالت: لا شيء.

- بل هناك أشياء. . . خبريني!

- كلا. . . وما الفائدة؟

- فقال كنت أرغب. . .

obeikandl.com

فقاطعته قائلة: ألا يستحسن عدم التحدث عن ذلك؟

ولكنه ظل منتظراً. لماذا لا تريد أن تخبره؟ وشعر بحب استطلاع غريب يدفعه عدم تذكره ما حدث.

- ألا تتذكرين يا مارسيل؟

- أجل!

- حسن. إذن أخبريني!

- لماذا! إنه من الغباء أن نعود إلى ترديد هذه النغمة ثانية.

وأدرك إنها لن تخبره أبداً، فتمتم قائلاً: حسن على أية حال.

نعم، على أية حال. . . من الأفضل ألا يتذكر. فهو مرتاح إلى. . إلى هذه المعيشة!!

obeikandl.com

مجنون!!
جي دي موباسان

هل أنا مجنون؟ أو لست إلا غيوراً؟ لست أدري! ولكني أعاني عذاباً شديداً. لقد ارتكبت فعلاً جنونياً، فعلاً وحشياً حقا. ولكنها الغيرة الجارفة، والحب الطاغي القادر الذي لا أستطيع منه فكاكاً، والألم الممض الذي أقاسيه، ألا يكفي كل ذلك لأن يدفعنا إلى اقتراف الجرائم وارتكاب الحماقات دون أن يكون الإجرام متأصلاً في قلوبنا أو في عقولنا.؟

أواه. . أني أتعذب، أتعذب عذاباً شديداً مستعراً، مضنياً، مخيفاً. لقد أحببت زوجتي حباً جنونياً. ولكن. . . هل هذا صحيح؟ هل أنا حقاً أحبها؟ كلا. لقد كانت تسيطر علي جسداً وروحاً، وتقيدني بأغلالها. كنت ولا زلت أحد ممتلكاتها، بل لعبتها. كنت عبد ابتسامتها، وشفتيها، ونظراتها ووجهها، وتلافيف جسمها. كنت ألهث تحت سلطان جمالها. ولذلك كرهت في ذلك الجسد المرأة،

واحتقرتها، ولعنتها. ولا زلت أمقتها، وأزدريها وألعنها، لأنها خدعة، حيوانية مدنسة، آثمة. أنها الشيطان في صورة امرأة، والحيوان البوهيمي المجرد من الضمير، والوحش البشري الذي لا بعرف الرحمة. بل هي أدنى من ذلك، فلم تكن إلا جسداً بديعاً جميلاً تسكنه الرذيلة.

إن أوائل أيام صلاتنا كانت عجيبة جميلة. كنت أرقد بين ذراعيها في نشوة، وشفتاها القرمزيتان المنفرجتان ترتعشان، وعيناها تثيران في نفسي التعطش إلى الحب. لقد كانتا رماديتين ظهراً، ثم تميلان إلى الخضرة عند الغروب، وزرقاوين عند الشروق إني لست مجنوناً، ولذلك أقسم أنه كانت لهما تلك الألوان الثلاثة. وتنفرج جفونها الثقيلة في بطء فتكشف عن نظرة من العواطف المتقدة سرعان ما تتلاشى فأشعر برجفة تهز كياني، ورغبة قاهرة في قتل ذلك الحيوان الثاوي في ذاتها حتى تصبح لي. . . أنا وحدي.

وعندما كانت تخطر في غرفتي، كنت أشعر بوقع خطواتها يتردد في فؤادي؛ ثم تبدأ خلع ملابسها، ويسقط رداؤها فتبدو سافرة أمامي. وهنالك تندفع الدماء في عروقي، ويلهث صدري، وتتخاذل ساقي، وأشعر برهبة غامضة تجرف قلبي.

كنت أنتظر أول نظراتها كل صباح، أنتظرها وأنا في ثورة وكراهية واحتقار لذلك الحيوان المتربع في كيانها الذي كنت عبداً له. أن مجرد تفكيري وخشيتي من أن تنكشف تلكما العينان الزرقاوان عن فتور وملل يجعلني أحس بنار سريعة تتقد في فؤادي فتحرقني وتزيد من حنقي وكراهيتي.

وفي ذات يوم لاحظت أنها فاترة نحوي، فنظرت إلى عينيها فوجدت فيهما تلك النظرة الباردة العابسة. وعندئذ عرفت، وشعرتن، وأدركت، لقد انتهى كل شيء، انتهى إلى الأبد. . . ولم يكن هناك أدنى شك في ذلك؛ لقد تبين لي الدليل في كل ساعة، بل في كل لحظة.

وحاولت، وناديت الذراعين والشفتين، فكانت تتحول عني في ضيق وهي تتمتم قائلة دعني. . . أنك ثقيل. . . ألا تترك لي فرصة للراحة؟!

وعندئذ شعرت بالغيرة المستعرة، وذقت مرارة الخديعة، وضاق صدري غيظاً، وعرفت جيداً أنها ملتني، وأن شعورها الحيواني الفاتر الآن سوف يلهبه رجل غيري يوماً ما. كنت غيوراً في جنون ولكني لست مجنوناً. . . كلا. . . بالطبع كلا.

وانتظرت وارتقبت ولكنها لم تخني. ومع ذلك ظلت باردة هادئة. وكانت أحياناً تقول لي (إني أنفر من الرجال) وعيناها تؤكدان ذلك عندما كانت ترنو إلي.

وصرت أغار من دلالها ومن برودها، وأغار من وحدة ليإليها ومن حركاتها، وأغار من أفكارها الآثمة بل من كل شيء يتعلق بها.

كنت عندما أستيقظ صباحاً وأنظر إلى عينيها، تلكما العينين المطفأتين، يضيق صدري غضباً وأشعر بثورة جارفة في نفسي تعصف بي وبنزوة طارئة تدفعني إلى خنقها، وأن أضغط على عنقها الجميل حتى أرغمها على الاعتراف بما في صدرها من أسرار.

هل أنا مجنون؟. . . كلا. . .

وفي ذات ليلة وجدتها وقد غمرتها سعادة لا أدري كنهها. فاستنتجت أن عاطفة جديدة قد تولدت في ذاتها. بل تأكدت من ذلك تأكد لا يتزعزع. لقد كانت تنتفض انتفاضة من أشبع رغبته، ملتمعة العينين باسمة الثغر، مشرقة الوجه. وتظاهرت بعدم المبالاة. ولكني كنت أراقبها من طرف خفي، ومع ذلك لم أكتشف شيئاً وانتظرت أسبوعاً، ثم شهراً، ثم فصلاً، فكانت تزداد جمالاً في عاطفة

غامضة وقد غمرتها نشوة من السعادة المبهمة. وفجأة وضح لي الأمر، واستنتجت، وعرفت! إني لست مجنوناً. أقسم إني لست مجنوناً.

ولكن. . . كيف أعبر، وكيف أشرح، وكيف أفسر؟!

كان ذلك في ليلة عادت فيها من نزهة ممتطية صهوة جواد. وترجلت عنه بوجنتين ورديتين، وصدر لاهث، وساقين متعبتين وعينين مجهدتين. ثم تهالكت جالسة على مقعد منخفض. ورأيتها في هذا الحال فعرفت أنها قد وقعت في حب غيري. إذن لم أكن مخدوعاً! وتحاشيت نظراتها وأنا في ذهول. والتفت صوب النافذة فرأيت الخادم يقود الجواد إلى حظيرته. ثم نظرت إليها، كانت تتبع الجواد بعينيها، وهو يسير في نشاط، حتى إذا ما اختفى عن ناظريها استلقت على المقعد وراحت في سبات عميق.

وقضيت الليل مسهداً أفكر. كنت أحاول أن أخترق سراً لا اشك في وجوده. من ذا الذي يستطيع أن يصل إلى أعماق نفسية المرأة؟ ومن ذا الذي يمكنه أن يكشف دلالها الغامض وخيالها العجيب؟

وأصبحت ترحل فجراً وقد امتطت صهوة جوادها فيركض بها في السهول والغابات. وكانت تعود في كل مرة

مجهدة كأنها مقبلة من موقعة غرامية. وفهمت، وأصبحت أغار من ذلك الجواد، وأغار من الريح التي تداعب شعرها، ومن الأفنان التي تهمس في أذنيها، ومن أشعة الشمس التي تقبل وجنتيها، من ذلك السرج الذي يلمس جسمها. أغار من كل هذه الأشياء التي غمرتها بالسعادة والبهجة والنشوة والتي تنهك قواها فتعود إلي في شبه غيبوبة.

وعزمت على الانتقام. وجعلت ألاطفها وأوليها اهتمامي. وأمسك بيدها أعينها على الترجل بعد عودتها من نزهتها. وكان الحيوان المتوثب يندفع نحوها، فتربت على رقبته وتقبله في خياشيمه دون أن تمسح شفتيها، وتمتزج رائحتها برائحته الغريبة.

وانتظرت اليوم والساعة، ساعة الانتقام. كانت تسير كل صباح في طريق يخترق غابة صغيرة فخرجت قبل الفجر وقد تزودت بحبل ومسدس أخفيته في صدري وكأنما أنا ذاهب إلى مبارزة وأسرعت صوب ذلك الطريق، وشددت الحبل بين شجرتين، ثم رقدت وسط الحشائش وأنا أرهف السمع، فسمعت صوت ركضات الجواد آتية من بعد، ثم لمحتها مقبلة تحفها الأفنان والجواد مندفع بها: أواه. أني لم اكن مخدوعاً. لقد كانت في سرور ظاهر، والدماء تتصاعد

إلى وجنتيها، وقد تلألأت عيناها وهي تهتز فوق الجواد في نشوة جارفة.

واصطدم الجواد بالحبل فكبا ثم سقط على الأرض مكسور المقدمتين وتلقفتها بين ذراعي القويتين ثم أنزلتها على الأرض. واقتربت من الجواد. كان ينظر إلي في غضب. ثم حاول أن يعضني، فصوبت المسدس إلى أذنه وأطلقت عليه رصاصة كأني أطلقها على رجل. . . على منافس لي. وفي نفس الوقت سقطت على الأرض أثر ضربة من سوط وقعت على وجهي فنظرت فرأيتها تهم بالاعتداء علي مرة ثانية، فأطلقت عليها رصاصة أخرى فاخترقت صدرها الجميل. . .

. . . خبرني إذاً. . أأنا مجنون؟!.

الخطاب

كولين هوارد

هتف الرجل الصغير قائلا وقد بدت على محياة دلائل الارتباك وهو واقف يجوار الصندوق - أني مسرور لرؤيتك ؟

فتوقف وتلقت إليه قائلا - مرحباً. . . السيد سيمسن، أليس كذلك؟

كان سيمسن وزوجه حديثي العهد بالحي، ولم أكن قابلتهما أنا وزوجي إلا مرة أو مرتين.

وأجابني سيمسن قائلا (أجل - هذا صحيح!) وكان يبدو أنه مسرور لتعرفي عليه سريعاً. واستطرد قائلا (أني لأتساءل: هل أستطيع أن تقرضني ثلاثة أنصاف من البنسات؟) فدفعت بيدي أبحث في جيبي، وأنا أسمعه يقول (إن زوجتي قد سلمتني هذا الخطاب لألقيه في صندوق البريد، ولكني لاحظت الآن فقط أن المظروف خال من طابع البريد).

قلت مرفها - خل عنك. . . فكثيراً ما يحدث ذلك.

قال يجب أن يسافر هذا الخطاب الليلة - لابد أن يسافر ؟

ولا أظن أني سأجد مكتباً للبريد مفتوحاً في هذا الوقت المتأخر من الليل. أتظن ذلك؟

كانت الساعة قد أشرفت على الحادية عشرة، فأمنت على أقواله.

واستطرد يقول - لذلك فكرت أن أحصل على طابع بريد من هذه الآلة، عندما وجدت أني لا أحمل نقوداً صغيرة

فقلت له بعد أن بحثت في جيبي عبثاً - أني شديد الأسف. أخشى ألا يكون معي مثل هذه النقود.

فصدرت عنه آهة تدل على الأسف، قلت - لعل عابر سبيل يمر. . . فقاطعني قائلا - لا يوجد أحد. . .

ونظرت إلى جهة من الطريق ونظر هو إلى الجهة الأخرى. ثم التفت إلى ناحيتي والتفت إلى ناحيته دون جدوى. وأخيراً هممت بالرحيل. ولكنه يبدو وحيداً مرتبكا وقد أمسك بيده مظروفا أزرق اللون فلم أقو في الواقع على تركه وهو في هذه الحال. فقلت له - دعني أخبرك ما الذي نفعله. من الأفضل أن ترافقني إلى داري. أنه على مقربة من هنا.

وسأحاول أن أحصل لك على نقود صغيرة.

فقال سيمسن - أنه للطف منك حقاً!

وفي الدار، استطعت بعد لأي أن أعثر على ثلاثة أنصاف من البنسات فأعطيتها إياه فأخذها مني شاكراً، ثم جعل يدون في مذكرته - بطريقة رجال الأعمال - قيمة القرض، ثم يعود إليّ. وقال لي - إني آسف لإزعاجك مرة أخرى. الحقيقة إني لا زلت غريباً عن هذا الحي، وهأنذا قد ضللت الطريق. لعلك ترشدني إلى مكتب البريد.

وحاولت إرشاده، وقضيت بعض الوقت أشرح له موقع المكتب دون جدوى. وأخيراً وجدت نفسي في حيرة كحيرته عندما صرح قائلا - أخشى أني لم أفهم. . . فقاطعته قائلا - من الأفضل أن أرافقك. فعاد يردد قائلا - إنه للطف كبير منك ؟

وسرنا في طريقنا حتى وصلنا إلى مكتب البريد. ووضع سيمسن قطعة من النقود في ثقب الآلة، فسقطت داخلها في صليل عال دون أن يظهر للطابع أي أثر. ونظر إليّ سيمسن نظرة حائرة وكأنه يتساءل ما الذي يستطيع عمله. فشرحت له قائلا (أن الآلة فارغة من الطوابع) فتأوه في أسف. اتضح لنا أن طوابع أنصاف البنسات قد نفد أيضا. ووقف سيمسن مضطرباً حائراً. وإذا بالمظروف يسقط منه ويقع على الأرض

فاستعاده وقد تلوث بالوحل. وصاح في انفعال (انظر، لقد تلوث بالوحل!) ثم طرق على الآلة الفارغة في حنق وهو يقول (حسن، ما الذي نستطيع عمله الآن؟) فاستنتجت من سؤاله هذا أنه قد أشركني في حيرته، فسألته) أمن الضروري أن يسافر هذا الخطاب الليلة؟). فأجاب (نعم! نعم إن زوجتي قد ألحت على أن ألقيه هذه الليلة. قالت ولكن من الأفضل أن ألقيه الليلة إذا كنت تعرف ما أعني).

وكنت أعرف ما يعنيه من قوله هذا، أو على الأقل أعرف زوجه مسز سيمسن. وتذكرت فجأة ما جعلني أقول له (أتعرف. أن عندي دفتر طوابع للبريد في داري!)

فقال في لهجة لا تخلو من التقريع (كان يجب أن تفكر في ذلك من قبل!).

فقلت (من الأفضل أن نسرع وإلا فاتنا موعد سفر الرسائل)

وأسرعنا الخطى، وكان هذا من حسن حظنا، لأنه أستغرق بحثنا مدة طويلة قبل أن نجد الدفتر وإذا به خال من طوابع البريد.

وجعل سيمسن يقلب الفكر وهو يقول (يا لخيبة الأمل!)

قلت (عجباً ؟ أكاد أقسم أن الدفتر كان ممتلئا بالطوابع!).

فسأل في حزن (ولكن. . . ماذا أفعل في خطابي؟).

قلت (سنضطر أن نلقبه دون طابع) وكان اهتمامي بذلك الخطاب قد بدأ يقل تدريجيا.

قال وقد عاوده الأمل (أوه - أأستطيع أن أفعل ذلك؟!)

قلت (ما الذي تستطيع عمله خلاف ذلك؟ كل ما هناك أن من يتسلم الخطاب يدفع ضعف قيمة إرساله في الصباح الباكر). قال (إني لا أود أن يحدث ذلك).

قلت (ولا أنا. ومع ذلك. فليكن. أنها متاعبه وليست متاعبنا. أسرع الآن وإلا فاتنا آخر موعد لاستلام البريد.)

وأسرع سيسمن في حماسة، فصحت به (انتظر. . . إن المكتب في الناحية الأخرى من الطريق).

فعاد وهو يلهث قائلا (آسف. أظن أني ضللت الطريق مرة أخرى).

ولم أحاول أن أشرح له ثانية، بل أمسكت بذراعه في قوة وقدته إلى مكتب البريد في اللحظة التي كاد يتم فيها استلام الرسائل - وكنت أعرف أني بمرافقتي إياه سأوفر على نفسي بعض الوقت - ثم ألقى بخطابه بين الرسائل الأخرى، وأخيراً عدت به إلى داره.

وقال وهو يودعني: (أشكرك شكراً جزيلا على كل ما فعلته أني لا أتمالك من التفكير... ما الذي كنت أفعله بدونك؟..

أن ذلك الخطاب... أنه لا يحوي سوى دعوة للعشاء موجهة إلي... يا الهي!).

- ماذا... ما الأمر؟.

- لا شيء... لقد تذكرت أمراً...

- ما هو؟

ولكنه لم يفه بكلمة، بل اتسعت عيناه وهو يحدق فيّ طويلا؛ وأخيراً حياتي وأسرع إلى الداخل.

وعجبت وتساءلت وأنا أسير عائداً إلى داري ما الذي تذكره؟ ولكن... ما لبث أن زال عجبي في الصباح الباكر عندما دفعت لساعي البريد ثلاثة بنسات قيمة استلامي مظروفاً أزرق اللون بغير طابع.. قد تلوث بالوحل!!

الأقدار

ن. هاوتورن

أن معرفتنا الحوادث التي تؤثر على حياتنا ومصيرنا في الواقع معرفة طفيفة ضئيلة فهناك من هذه - الحوادث - إذا شئت أن تسميه حوادث - ما يدنو منا، ثم ينزح عنا، دون أن يكون له أي أثر على أنفسنا، أو يفشى قربه، أو يلقي ضوءاً أو ظلاً عن وجوده. وهذا ما حدث لدافيد سوان.

نحن لا يهمنا من حياة دافيد سوان سوى تلك التي تربطه بها منذ بلوغه العشرين من العمر عندما كان قادماً من مسقط رأسه في طريقه إلى مدينة بوسطون ليعمل في حانوت عمه. ويكفي أن نعرف أنه ولد في نيوها مشاير من أبوين محترمين، وأن ثقافته عادية تزيدها دراسة عام في أكاديمية جليمانتون. وكان يشعر بالجهد وعناء السير ووطأة القيظ بعد أن قطع شوطاً كبيراً من الطريق منذ شروق الشمس حتى ظهر يوم من أيام الصيف الحارة. فعزم على أن

يستريح في أقرب مكان تكتنفه الظلال وينتظر قدوم مركبة السفر وكأنما تهيأ له هذا المكان، فسرعان ما بدت أشجار باسقة حول خلاء يتوسطه نبع من الماء العذب الدافق فطبع قبلة على صفحته من شفتيه الظمآنتين ثم استلقى على الأرض وقد توسد لفافة تحوي ملابسه الداخلية. كانت الشمس تجاهد في فتح ثغرة بين الأفنان حتى تصل إليه، وإنجاب ستر ذلك الغبار المتصاعد من الطريق بعد أن هطل المطر في الليلة الماضية. وارتاح الشاب لتلك الحشائش التي يرقد عليها وكأنه نائم على فراش وثير. وتمتم النبع يهمس بجواره، وتأرجحت الأفنان تحت السماء الزرقاء. ثم استولى عليه نوم عميق تتخلله أحلام عابرة لا يهمنا أمرها، فكل اهتمامنا موجه إلى ما يحدث بعيداً عن أحلامه.

كان الناس غادين رائحين على طول الطريق راكبين أو مترجلين فيمرون عليه وهو راقد تحت سلطان الكرى في خلوته وقد ألقت عليه الأشجار ظلالها. وكان منهم من لا يلتفت يمنة أو يسرة فلا يدري وجود دافيد، ومنهم من يرمقه وهو يبتعد عنه سارحاً في أفكاره، ومنهم من يضحك عندما يشاهده راقداً يغط في نومه، ومنهم أولئك الذين امتلأت

قلوبهم بالبغضاء، فيبعثون إليه فيضاً من كلمات الضغينة والحقد.

وأطلت أرملة متوسطة العمر عليه، ثم حدثت نفسها قائلة: إنه يبدو فاتناً في نومه. ورآه مدرس وقور فعزم على أن يزج بالشاب المسكين في موضوع محاضرته التي سيلقيها ذلك المساء، فيشبه حاله بحال سكير أفرط في الشرب حتى نام بجوار الطريق. كانت كل هذه الخواطر بما فيها ذم ومدح، وسرور وغضب، وإعجاب واحتقار، لا تهم دافيد في شيء. فقد كان بمنأى عنها وهو غارق في نومه.

وأقبلت مركبة يجرها زوج من الجياد القوية سرعان ما وقف أمام ملجأ دافيد. كانت إحدى عجلاتها قد انزلقت بعيداً عنها، مما روع التاجر المسافر وزوجه قليلاً، فترجلا عن المركبة، إلى إن يتم استبدال عجلة بأخرى، وقصد إلى ملجأ دافيد تحت الأشجار التي تظلله. وتمتم النبع المتفجر يشكو تطفل الدخيلين، وتأثر الهدوء الشامل الذي كان يرين على المكان، فعادا أدراجهما في خفة وسكون، خشية أن يوقظا النائم. وهمس السيد الكهل قائلاً ما اعمق نومه! انظري كيف يتنفس في هدوء. وددت لو أنام مثل هذا النوم في

مقابل تنازلي عن نصف ثروتي. أنه الصحة والسعادة وصفاء الضمير.

فقالت السيدة - ذلك بجانب الفتوة والشباب. إن الرجل الكهل وإن كان صحيح البدن لا ينام مثله.

وكان التاجر وزوجه كلما أطالا النظر إلى دافيد، ازداد اهتمامهما به، وهو نائم في ذلك المكان بجوار الطريق تحنو عليه تلك الأشجار، وكأنه يرقد في مسكن خاص لا ينازعه فيه منازع، وقد انسدلت فوقه ستائر فاخرة من الظلال، وأقبلت الشمس وقد وجدت أشعتها فرجة تنفذ منها خلال الأفنان، أقبلت تقبل وجهه. وشعرت السيدة بحنان الأمومة يطغي على قلبها، فأحنت فناً تظلل به وجه الشاب، ثم همست تقول لزوجها.

- يبدو أن العناية الإلهية قد وضعته في طريقنا، وقادتنا إليه. أني أرى شبهاً بينه وبين ولدنا الراحل. إلا نوقظه؟

فتردد التاجر هنيهة ثم قال - لماذا؟ إننا لا ندري شيئاً عن أخلاقه.

فأجابت السيدة - إلا ترى هذه الملامح الطيبة؟! ألا تلاحظ هذا النوم البريء؟!

كانت همساتها تردد في المكان، ومع ذلك لم تسرع دقات قلب دافيد، ولم تبهر أنفاسه، ولم تشف ملامحه عن أي اهتمام لما يدور حوله، ولم يشعر (بالحظ) فوقه وعلى أهبة الاستعداد لأن يغمره بالذهب. لقد فقد ذلك التاجر وحيده، ولم يعد له وريث سوى قريب بعيد لا يميل إليه، ولا تعجبه أخلاقه. ولهذا كان دافيد على قاب قوسين أو أدنى من الثروة والغنى.

ورددت السيدة تحاول إقناع زوجها - إلا نوقظه؟

وهنا سمع صوت السائق وراءهما يقول - أن المركبة على أهبة الرحيل.

فجفل الزوجان، واحمر وجههما، ثم أسرعا يبتعدان عن النائم وهما يعجبان ويتساءلان كيف خطر لهما أن يحاولا إيقاظ هذا الشاب. وتهالك التاجر على مقعد المركبة ثم سرحت به أفكاره بعيداً عن دافيد، ودفعته إلى الاهتمام بمشروع ملجأ للعاطلين.

ولم تكد المركبة تبتعد حتى أقبلت فتاة حسناء في خطى رشيقة، تشف عن قلب صغير يرقص في صدرها. ولعل ابتهاجها ومرحها وحركاتها هي التي دعت (وهل هناك ضرر من قولي؟!) إلى تهدل جوربها الحرير (أن كان حريراً؟)

فانتحت جانباً بجوار المكان الذي يرقد فيه الشاب، وانحنت تحاول تثبيت جوربها. وسرعان ما علا وجهها حمرة خجل كاحمرار الوردة عندما أبصرت ذلك النائم المستلقي بجوار النبع، وهمت بالهرب في هدوء عندما لاحظت خطراً يهدد الشاب. كانت تحوم فوق رأسه نحلة ضخمة، وتدور حول المكان في طنين عال، فتارة تطير بين الأفنان، وتارة تندفع مخترقة أشعة الشمس، ثم تختفي في الظلال، وأخيراً حطت على جفن الشاب. وكانت الفتاة تعرف ما تسببه لذعة النحلة من ضرر فهاجمتها بمنديلها ونحتها عنه. ثم وقفت تلهث، وقد بدت حمرة الخجل على وجنتيها، وجعلت تختلس النظر إلى ذلك الشاب الغريب، وتمتمت تحدث نفسها ولم تزل حمرة الخجل تعلو وجنتيها (كم هو جميل الطلعة!).

كيف لم يساوره أثناء نومه حلم سعيد، حلم يستطيع فيه أن يلاحظ هذه الفتاة بين أبطال حلمه؟ ولماذا لم تشرق ابتسامة ترحيب على وجهه؟ لقد قدمت إليه تلك العذراء التي وافقت روحها روحه، والتي كان يتوق إلى رؤيتها، ويصبو إلى لقائها. إنها هي الوحيدة التي يتمنى أن يحبها الحب الفريد الكامل، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يتربع

في أعماق قلبها. وهاهي ذي الآن قد انعكست صورتها على صفحة ماء النبع بجواره، تلك التي ستختفي عن أنظاره إلى الأبد إذا لم يستيقظ ويرها.

وتمتمت الفتاة قائلة ما اعمق نومه!

ثم عادت أدراجها وقد ثقلت خطواتها. كان والدها تاجراً ريفياً ناجحاً، وكان يبحث في ذلك الوقت عن شاب يساعده في أعماله ويشاركه في تجارته. وهكذا اقترب (الحب) من دافيد كما اقترب منه (يلاحظ) دون إن يدري عنه شيئاً.

وابتعدت الفتاة عن المكان عندما أقبل رجلان واقتحما الخلوة. بوجهين قاتمين وملابس رثة قذرة. كانا من أولئك المتشردين الذين يتعيشون على ما يرسله لهم الشيطان. وهاهما قد أقبلا لاقتسام ما ربحاه من المقامرة. وإذ بهما يشاهدان الشاب وهو نائم فهمس أحدهما إلى الأخر قائلا - إلا ترى تلك اللفافة التي تحت رأسه؟.

فأومأ الآخر بإيجاب، وغمز بعينه، ثم نظر شزراً. فقال الأول - أراهن على قدح من الخمر أن لم يكن هذا الشخص يملك محفظة عامرة بالأوراق المالية أو يخفي نقوده الفضية

في مخبأ داخل هذه اللفافة، ذلك إذا لم نجدها في جيوب سراويله.

فقال الآخر - وإذا ما استيقظ؟.

فأشار زميله إلى مقبض خنجره المثبت داخل سترته، فتمتم الشقي الثاني قائلا - هذا يكفي!.

واقترب من النائم، وسدد أحدهما الخنجر صوب قلبه، فجعل الآخر يبحث في ثنايا اللفافة التي كان يتوسدها. وكانت ملامحهما تنطق بالشر والجريمة والخوف وهما منحنيان فوق ضحيتهما. حتى ليكاد أن يخيل إلى الشاب - إذا ما استيقظ ورآهما - انهما من الشياطين. ولو كانا قد القيا نظرة إلى صورتيهما المنعكستين على صفحة ماء النبع، لما عرفا نفسيهما وهما في هاتين الصورتين البشعتين. ولكن الشاب كان نائماً في هدوء لم يعهده من قبل.

وهمس أحدهما قائلا - يجب أن أحرك هذه اللفافة.

وتمتم الآخر - إذا ما تحرك سأقضي عليه.

وأقبل فجأة كلب يشم الأرض تحت الأشجار ثم القي نظرة فاحصة على الشقيين، وأخيراً عاد أدراجه.

فقال أحدهما - لن نستطيع عمل شيء بعد ذلك. إن صاحب الكلب بالقرب منه.

فقال الآخر إذاً دعنا نشرب ثم نرحل.

وأعاد الرجل خنجره إلى طيات ثيابه، ثم أخرج قارورة من الشراب، وجعل ينهل منها هو وزميله وأخيراً نزحا عن المكان وهما يضحكان. وبعد ساعات كانا نسيا ذلك الشاب غير مدركين أن الملك الذي يدون ما جرى من حوادث قد سطر في صفحتيها إثماً ضد روحيهما، إثماً دائماً بدوام الخلود. أما دافيد فكان لا يزال غارقاً في سبات هادئ فلم يشعر بشبح الموت وهو يجثم فوقه، ولا بضياء الحياة الجديدة التي منحت له عندما أنسحب ذلك الشبح. ونام ملء جفونه نوماً أبعد عنه الجهد والتعب. وأخيراً أخذ يتململ وتحركت شفتاه ثم تمتم وكأنه يتحدث مع أطياف أحلامه النهارية. وسرعان ما استيقظ عندما سمع صليل عجلات مركبة السفر وهي تنهب الطريق مقبلة نحوه. فنظر إليها ثم صاح - أيها السائق. أتأخذ معك مسافرا؟.

فأجاب السائق - أصعد - فهناك مكان في أعلى المركبة. وصعد الشاب مغتبطاً وسارت المركبة صوب بوسطون. ولم يلق دافيد نظرة على ذلك الببغ بما جلبه له من أحلام متقلبة. ولم يعرف أن شبح (الثروة) قد ألقى ظله الذهبي على مياهه، ولم يدرك أن ملك (الحب) قد تنهد في هدوء واختلط صوته

بصوت أمواجه، ولم يشعر أن شبح الموت كان على وشك أن يصبغ تلك المياه بدمه. حدث كل هذا في ذلك الظرف الوجيز من الزمان الذي كان فيه نائماً؛ فنحن في نومنا لا نشعر ولا نسمع وقع خطوات الحوادث وهي تمر علينا مراً. أليس في استطاعة قوة إلهية مهيمنة أن تجعلنا قادرين على التنبؤ - ولو بقدر بسيط - بتلك الحوادث الخفية الفجائية التي تلقى بنفسها في طريقنا؟

obeikandl.com

الحلم
لورد دتساني

رأيت في المنام أني اقترفت جرما فظيعا رفضوا من جرائه أن يدفنوني في الأرض أو في البحر، بل لم يكن لي مكان حتى في الجحيم. عرفت ذلك وأنا في انتظار مصيري عندما أقبل أصدقائي وقتلوني سرا في احتفال ديني أضاءوا فيه الشموع، ثم حملوني بعيدا عن لندن، رحلوا في دجى الليل وساروا في طرق موحشة بين صفين من الديار الصغيرة حتى وصلوا إلى النهر، وكان في صراع مع مد البحر بين الضفاف الموحلة وفي ظلام الليل الدامس، فعرتهما دهشة فجائية من رؤيتهما أصدقائي وقد انعكست أنوار شموعهم على صفحة الماء. أدركت كل ذلك بينما كانوا يحملون جثتي المتيبسة، فقد كانت روحي لا تزال بين عظامي لأنه لم يكن لها مأوى في السماء.

ونزلوا درجا أخضرا موحلا، فدنوت شيئا فشيئا من الطمي المرعب. وهناك حفروا حفرة قليلة الغور وأرقدوني فيها بين المهملات. ثم ألقوا فجأة بشموعهم في النهر،

فانطفأت شعلتها وانسابت تندفع معالمد صغيرة شاحبة. وجعلت أراقب شروع الفجر وأشاهد أصدقائي يتسللون خفية الواحد تلو الأخر وقد توشحوا معاطفهم.

وأقبل الطمي وغطى كل شيء عدا وجهي. ورقدت هناك بين المفقودات والأحجار المتداعية والمهملات وكل ما هو في طي النسيان، وقد تخلصت من احساساتي، لأني كنت ميتا - قتيلا ولم يبقى لروحي التعسة سوى الإدراك والتفكير. وبزغ الفجر فأبصرت الديار المهجورة تزخر بها حافة النهر، وقد أطلت على نوافذها الميتة تحدق في بأعين لا حياة فيها، نوافذ يجثم وراءها الشر وقد خلت من أرواح البشر، وازددت جهدا وأنا أتطلع إلى تلك المهملات فاشعر بالرغبة في البكاء دون أن أبكي لأني في عداد الأموات. ثم عرفت ما لم أكن أعرفه من قبل - أن هذه الديار المهجورة كانت تود أن تبكي مثلي طوال الأعوام التي مرت عليها. ولكنها بكماء لا حياة فيها. وكم كنت أود أن تبكي هذه الأشياء المتراكمة المهجورة فأشعر بالراحة لبكائها، ولكنها كانت أيضا ميتة كفيفة البصر، وكان حالي مثل حالها، فقد حاولت البكاء فلم يتساقط الدمع من عيني. وكنت أعرف أن النهر يستطيع لو أراد، أن يعتني بنا، ويحنو علينا، ويغني لنا.

ولكنه كان يندفع جاريا دون أن يفكر في شئ سوى ما يحمله معه من سفن فاخرة.

وأخيراً فعل المد ما لم يفعله النهر، وأقبل وغطاني، فانتشت روحي بعد أن رقدت تحت الماء الخصر، وخالجها اعتقاد أنها مدفونة في البحر. وما انحسر الماء حتى رجعت إلى الطمي بين المهملات وعدت إلى مشاهدة الديار المهجورة وعادت إلي معرفتي بأننا جميعا أموات. ثم بدا لي نفق حالك وممرات سرية ضيقة تخترق ذلك الحائط الكئيب الواقع خلفي وقد غطته الأعشاب الخضر، فأقبلت منها الجرذان تتسلل لتقرضني، وابتهجت روحي عندئذ، واعتقدت أنها ستغدو حرة، فتخترق نطاق تلك العظام الملعونة التي رفض دفنها. ولكن سرعان ما ولت الجرذان هاربة مبتعدة عني، ثم جعلت تتشاور فيما بينها، ثم لم تعد إلى بعد ذلك. وهنا عرفت أني ملعون حتى بين الجرذان، وحاولت عندئذ البكاء دون جدوى. ثم أقبل المد وعاد يتأرجح حتى غطى الطمي المهول، وأخفى الديار المهجورة، وواسى الأشياء المهملة، وأراح روحي فترة وهي مدفونة في مياهه. وأخيرا هجرني وابتعد.

وهكذا أصبح المد يقبل ثم يعود سنين عديدة، إلى أن وجدني بعضهم، فانتزعوني من الطمي ودفنوني دفنا لائقا. وما أن رقدت في أول رمس حتى عاد أصدقائي وأخرجوني منه وأعادوني إلى حفرتي في الطمي.

وكم من المرات تجد عظامي مدفنا لها على كر السنين، وفي كل مرة يكمن أحد هؤلاء الرجال المرعبين، حتى إذا ما أتى المساء يقبل فيحفر ثم يخرجني من رمسي ويحملني ويعود بي إلى حفرتي الأولى.

وفي ذات يوم مات رجل من هؤلاء الذين فعلوا بي هذا الفعل المروع. وسمعت روحه تتصاعد فوق النهر عند الغروب. وحينئذ أشرق في روحي الأمل.

ومرت الأسابيع عندما وجدوني مرة أخرى، فأخرجوني من ذلك المكان المتقلقل ودفنوني في أعماق الأرض المقدسة. وعاود روحي الأمل في أن تظل هناك أبدا. ولكن سرعان ما أقبل رجال متشحون بالمعاطف ويحملون الشموع، وأعادوني إلى الطمي، لقد أصبح ذلك الأمر لهم تراثا وتقليدا. وسخرت مني المهملات في قلوبها الصم عند عودتي، فقد كانت تغار مني لتركي الطمي. وكنت لا أزال أذكر أني لا أستطيع البكاء.

ومرت السنين تجري كما يجري النهر صوب البحر حيث الزوارق ترحل وتعود السفن الهائلة الهائمة يبتلعها الموج، وما زلت راقدا بلا أمل، لأني لا أجرؤ أو آمل دون سبب، نتيجة حسد المهملات المروع وغضبها الشديد.

وفي ذات يوم هبت عاصفة هوجاء، أقبلت جنوبا من بعيد، قادمة من البحر، ثم عرجت على النهر تصاحبها الريح الشرقية العاتية، وتغلبت على الجزر وهي تسير في خطى واسعة فوق الطمي الغافل. وابتهجت المهملات واختلطت بغيرها من الأشياء المبتهجة، وانساقت السفن الفاخرة وهي تطفو من أعماق الماء، وأخذت العاصفة عظامي من مرقدي الموحش، فشعرت بأمل يترعرع في نفسي في أنه لن يعكر على الجزر صفو مرقدي بعد ذلك. وعندما أنحسر المد كانت العاصفة قد ولت تقتفي أثر النهر صوب الجنوب، ثم عادت إلى مقرها بعد أن تعثرت عظامي بين جزر كثيرة على طول السواحل. وكادت روحي أن تتحرر من أغلالها عندما أرتفع المد الدافق تحت ضوء القمر وعبث بما تركه الجزر، ولم عظامي من هذه الجزائر وعاد بها من هذه السواحل، ثم ذهب ينثني صوب الشمال حتى وصل إلى مصب التيمس، وهناك تحول غربا والتقى بالنهر وصعد معه

حتى أقبل إلي الحفرة فألقى فيها عظامي. ثم أنحسر المد فشاهدت أعين الديار الميتة، وشعرت بغيرة المهملات التي لم تحملها العاصفة.

ومرت قرون على ذلك التنازع بين المد والجزر، ولا زلت تحت قبضة الطمي بين هذه المهملات الموحشة، وأنا عاجز عن التحرر من أغلاله. واشتقت إلى حنان الأرض الدافئة، وأحضان البحر الخصم.

وكان الناس بعض الأحيان يعثرون على عظامي فيدفنونها. ولما كانت التقاليد لا تزال على حالها من الوجود فقد أصبح خلفاء أصدقائي يقومون دائما بإعادتي إلى الطمي. وأخيرا أنقطع إبحار السفن، وخبا ضوء النهار، ولم يعد يطفو على الماء إلا جذوع الأشجار القديمة وقد اقتلعتها الريح من جذورها. وشعرت مع الزمن بنمو الأعشاب بجواري وأخذت الطحالب تنبت فوق الديار الميتة. جعلت أراقب هذه التطورات سنين عديدة إلى أن تأكدت تماما أن لندن في طريقها إلى الفناء. وحينئذ أشرق الأمل مرة أخرى، مع أني كنت أعرف أن كل من يجرأ على أن يأمل وسط الطمي يثير عليه غضب المهملات الملقاة على ضفتي النهر. وشيئا فشيئا تداعت الديار المخيفة،

ووجدت لها مدفنا لائقا لين الأعشاب والطحالب. ثم تفتحت الأزهار البرية واستطالت النباتات المتسلقة، وأطلت فوق الأكمات. وحينئذ عرفت أن الطبيعة قد انتصرت وأن لندن قد أصبحت أطلالا. وأقبل آخر إنسان إلى الحائط بجوار النهر في معطف رث من تلك المعاطف التي كان يرتديها أصدقائي، وحدق ليرى إذا كنت لا أزال هناك ثم رحل ولم أشاهده بعد ذلك. لقد رحلوا جميعا كما رحلت لندن.

وبعد أيام، أقبلت الطيور الشادية، ونظر بعضها إلى بعض عندما شاهدتني، ثم طارت بعيدا عني وجعلت تتشاور فيما بينها، فقال أحدها (أنه لم يأثم في حقنا، وإنما أثم ضد الإنسانية) فقالت (إذن دعونا نحنو عليه).

ثم حطت بالقرب مني وأخذت تغرد. واستمعت إلى شدو المئات منها عند الشروق، على ضفاف النهر، وفي عنان السماء وخلال الغابات، وتعالى عناءها عندما سطع الضوء، وازدحمت فوق رأسي حتى أصبحت آلافاً مؤلفة، ثم ملايين، فلم أر أخيرا إلا أجنحة تصطفق تحت قبة السماء وارتفعت روحي من عظامي الراقدة في الحفرة الموحلة، وأنا أستمع إلى هذه الأغاريد المشجية، وأخذت تتعالى في عنان السماء مع الألحان. وبدا لي وكأنما قد شق طريق بين الطيور،

ارتفعت فيه روحي وظلت ترتفع حتى دلفت إلى الجنة من أحد أبوابها الصغيرة وقد فتح على مصراعيه في نهاية السماء. وعندئذ عرفت أني قد انتشلت من ذلك الوحل ولن أعود إليه مطلقا، فقد وجدت فجأة أني أستطيع البكاء.

وفي نفس اللحظة فتحت عيني فوجدتني في فراشي بلندن، وسمعت الطيور تغرد فوق شجرة في الخارج تحت أشعة الصباح الخلابة. وكانت عيني منداة بالدموع، فإن إرادة الإنسان أضعف ما تكون أثناء النوم. وهببت من فراشي وفتحت النافذة، وبسطت ذراعي فوق الحديقة الصغيرة، وباركت الطيور التي أنقذني شدوها من حلمي الطويل المخيف المزعج.

البجعة

بامبلا. هـ جونسون

في اللحظة التي شاهدت فيها الطفلة ولاحظت هزالها وهي واقفة بجوار النافذة المستديرة، ويداها تعبثان بعنق التمثال الخزفي للبجعة البيضاء، أيقنت أنها ستصير حتماً من الجميلات عندما يكتمل نموها. ولم تكن قد شعرت بوجودي، فوقفت ساكناً بجوار باب الغرفة أتأملها في إمعان.

كانت سنها - على ما أعتقد - تتراوح بين الحادية عشرة وكانت - إذا عن لي أن أحكم عليها - أكثر شبهاً بوالدتها جلاديس من صورة أبيها توم، تلك الصورة التي شاهدتها معلقة في المطبخ. ولاحظت أن أطرافها نامية نمواً ملحوظاً، وعينيها واسعتان بالنسبة إلى وجهها، ترتدي مئزراً قديم الطراز أبيض اللون قصير الأكمام، يتحلى بزركشة وزخارف من (الدانتيلا) على حافته. وكان نظيفاً على خلاف ردائها الداخلي الداكن الذي كان يبدوا قديماً رثاً.

كانت الطفلة تحرك أصابعها بحنان على صدر البجعة وجناحيها. وبدت كأنها معجبة بذلك التمثال المصقول، فكانت تتأمله وكأنها خبيرة بفنه وجماله. وكان شعرها مشدوداً خلف جبهتها الصغيرة البارزة، وقد انعقد بشريط أبيض. ولعلي أحدثت حركة بسيطة، فقد التفتت الطفلة ناحيتي ونظرت إلي، ثم فارقتها في الحال روح الطمأنينة، ودفعت بالبجعة خلف ستار، ثم جعلت تمسح يديها في مئزرها - وكان في بياض الثلج - فتترك فيه أثراً خفيفاً من قذارة يديها. وبدت أسنانها من بين شفتيها وتراجعت كما لو أنها ستختفي كما (أليس) خلال المرآة.

ولم أتفوه بكلمة وأنا أتأمل ذلك الجمال المنتظر. حقاً، لقد كانت أكثر شبهاً بجلاديس من توم. كانت تشبه جلاديس التي كنت أعهدها منذ زمن بعيد، لا تلك التي أعرفها الآن. ولم تصرف الطفلة عينيها عن وجهي، في الوقت الذي كانت فيه تتحسس الحائط خلفها، وتتحرك في تلصص بجواره وقد تصلب ظهرها. فقلت (تعالى. لا تذهبي) فشهقت شهقة قصيرة من الرعب، ولكني تقدمت إليها وقبضت على معصميها، وانحنت في ذات الوقت حتى صار وجهي في مستوى وجهها، وقلت (لا تهربي إني عمك

(فيل)). وحاولت أن تبتسم في أدب ثم ارتجفت عضلة على ركن فمها بعد أن تلاشت ابتسامتها.

سألتها في رقة (لماذا تخافينني؟ إني أعرف والدتك منذ زمن طويل. وها قد مضت عشرون عاماً دون أن أراها. أليست تلك مدة بعيدة؟ لقد أخبرتني أن أحضر هنا لأشاهدك) وأضفت قائلاً حتى أجعلها تشعر بالسعادة (لأشاهد أي فتاة كبيرة لها).

وأومأت الفتاة برأسها في ضمت تشير إلى البجعة. فقلت (تمثال جميل، أيعجبك؟) فابتسمت.

قلت (ما اسمك؟) فلم تجب. قلت (أنت (آسي)) فهزت رأسها بالنفي في شدة وخوف ظاهر. وعجبت، ما الذي فعلته جلاديس حتى جعلت هذه الطفلة مرهفة الأعصاب تهاب الغرباء؟ وشاهدت جلاديس من خلال النافذة، واقفة عند مدخل الخباز، تسارع في شراء كعك للشاي، فقد كانت زيارتي لها فجائية، ولم يكن عندها ما تقدمه إلى، ولذلك قالت لي (ألا تستطيع أن تسلي نفسك مدة عشر دقائق يا فيل؟ يجب أن أستحضر العشاء لتوم. وإذا حضرت آسي قبل عودتي فعرفها بنفسك).

وقلت للطفلة (متى قدمت؟ لقد أخبرتني والدتك أنك ذهبت إلى الخليج).

فابتسمت كأنما سرت لقدومها إلى الدار على غير انتظار. فجأة أمسكت البجعة ودفعتها في يدي، ثم قالت (جميلة!) فوافقتها على ذلك. تذكرت رؤيتي لهذا التمثال منذ عشرين عاماً في الدار جلاديس القائم على قمة الجرف. وكانت البجعة قطعة أثرية نفيسة من الخزف.

ووضعت الطفلة يديها على كتفي، فركعت، وإذا بها تجلس على ركبتي، وهى تبتسم في وجهي، وكأنما توطدت الصلات بيننا. وأخبرتها بوجه الشبه بينها وبين والدتها، وحدثتها عن جمال أمها. وقلت أتعرفين أننا اعتدنا - أنا ووالدتك أن نذهب إلى الخليج، وقد حملنا معنا أدوات الشاي انقضي بقية يومنا هناك؟ وكنت أسبح حيث تقوم تلك الصخور الثلاثة في صف واحد، وأدعي بأني في يوم ما سأسبح وأسبح ولن أعود بتاتاً. ثم أختبئ في ذلك الكهف الصغير الواقع تحت الجرف مباشرة وأناديها مثل. . .) وبحثت عن كلمة لطيفة فقلت (مثل النورس)

وصفقت الفتاة، ثم عقدت يديها كما لو أنها تذكرت تحذيراً بألا تفض أصابعها مطلقاً.

وانتظرت متابعتي الحديث فقلت (ثم أسبح راجعاً فتعنفني، ثم ننفجر ضاحكين. . . كان ذلك منذ زمن بعيد).

فسألتني وهي ترفع إصبعها في حذر لتلمس قمة رأسي (وأين كنت؟) فاعتقدت أنها تعني (أين كنت هذه المدة؟) فأجبت (كنت في الخارج).

فبدت كأنها تفقه ما قلته. وكنت قد وضعت البجعة على الأرض بجواري فشعرت بها تنزلق عن ركبتي متجهة الوجه ثم عادتِ تجلس معي وانتظرت أن أفضي إليها ببقية الحديث، فقلت (إني لم أقابل والدك بعد، مع إني شاهدت صورته) فعبست فقلت (ولكني - سأقابله الليلة عندما يعود من عمله).

ووضعت الطفلة ذراعها حول عنقي، فشعرت بسرور عظيم يخالجني، وإذا بي أسألها (أية هدية تودين أن أبعث بها إليك؟) فابتسمت. فأردفت قائلاً (سأشتري لك واحدة مثلها من لندن، وسأبعث بها إليك في طرد مسجل ومدون باسم الآنسة آسي أون) فحركت رأسها في عنف، ثم أخفت وجهها بين يديها، وبعد لحظات نظرت إلي، وقد استعادت هدوءها السابق، ثم جذبت الشريط المعقود من شعرها،

فانسدل بلونه الأشقر كلون الصباح على رمل الشاطئ الندي.

وسألت الطفلة (أتميلين إلي؟) فلمست خدي. ولاحت لي جلاديس مرة أخرى، تتحدث إلى جار لها خارج البوابة، وشاهدتها الطفلة فقفزت من ركبتي، وبدت كأنها خجلة أو خائفة. ثم اختطفت الشريط من يدي، وجمعت شعرها وعقصته، ثم ربطته، بالشريط ربطة غير متقنة في لهفة وكأنها تتوق إلى الرحيل. فسألتها إلى أين تذهبين؟).

وأشارت إلى جلاديس من خلال النافذة، ففتحتها وسألتها ما الأمر، فقالت (لقد نسيت المفتاح. أرجو أن تفتح لي الباب).

وعندما التفت حولي، وكانت الفتاة قد اختفت، فظننت أنها أسرعت إلى المطبخ تنتظر قدوم والدتها أو صعدت لتغسل يديها استعدادا للشاي، فقد لاحظت أنهما قذرتان وبهما خدوش كأنها حدثت أثناء محاولتها تسلق الصخور الزلقة التي حول الخليج وأحسست الخيبة، فقد كنت أود أن تراني جلاديس معها، فربما حدثتني بلهجة أقل خشونة من حديثها السابق، عندما ترى الوفاق الذي توطد بيني وبين الفتاة.

وفتحت الباب فدلفت منه جلاديس مجهدة وقالت (إني آسفة لتغيبي هذه المدة الطويلة يا فيل. إن هذا هو الضرر الذي يأتي من معرفة الناس للإنسان في الطرق، ولابد أن تقف وتحي عند كل ناصية).

وذهبنا إلى المطبخ وجعلنا أساعدها في فض حاجاتها وسمعتها تقول لي (كيف استطعت أن تجلس هنا وحدك؟). فقلت ضاحكاً: (لم أكن هنا وحدي. إن آسي كانت معي) فلم تفه بكلمة، فنظرت إليها فشاهدت في دهشة أن وجهها قد تقنع بقناع من الحيرة، فقلت (ما الأمر!؟) قالت (لا يمكن أن تكون شاهدت آسي. أنني قابلتها في طريقي وهى مقبلة من الشاطئ، وقد أرسلتها إلى محل لويز لتقص شعرها، وستحضر وقت تقديم الشاي).

وأحسست بشعور خفي من الرهبة يغزو قلبي، فقلت (ولكن، لا يمكن أن يحدث ذلك، لقد كانت تتحدث معي هنا، وكانت تجلس على ركبتي فقالت (ما شكلها؟) فجعلت أصف لها الطفلة بشعرها المعقود بالشريط، ورداءها البني، ومئزرها الأبيض وقلت (وكانت تلعب بالتمثال الخزفي للبجعة البيضاء الموضوع على النافذة).

وهبت جلاديس واقفة، وقد تصلب جسمها، ثم صرخت صرخة مخيفة، وأمسكت بها قبل أن تخر ساقطة، وأجلستها على المقعد. وعندما فتحت عينيها نظرت حولها في ذهول ورعب ثم قالت (أغلق الباب والنافذة) وازداد شعوري بالخوف وخيل إلى بأن ظلاماً حالكاً قد خيم على جو الغرفة، لم أعهده فيها من قبل.

وقالت جلاديس (لقد رأيت مارجريت) واعتدلت في مقعدها وقد اتكأت على مرفقها تراقب الباب المغلق. وألحت عليها أن تفسر لي ما غمض من حديثها، وتخبرني به دون إبطاء، فقد كنت أود أن يطغى صوتها على أي صوت أتوقع حدوثه كوقع أقدام تسير في تؤدة وتردد على الدرج، واحتكاك يد صغيرة تستند على الباب، ولكنها ل تفه بكلمة. وبدافع قوي، تركتها وهى تبكي وتتوسل أن أظل معها، وذهبت إلى الغرفة الأمامية، وأزحت ستائر النافذة. كانت البجعة لا تزال في موضعها ولكني لاحظت فيها شيئاً لم ألاحظه من قبل. كان العنق يتصل ببقية الجسم بمسمار فضي لامع. واستمعت في سكون الغرفة إلى دقات قلبي، وأغمضت عيني وأنا أسير في الممر عائداً إلى المطبخ وجعلت أتحسس طريق بأطراف أصابعي دون أن أدرك ما

الذي ألمسه. كانت جلاديس ما تزال متكئة على مرفقها، وقد بدت في عينيها دلائل الرعب والخوف. فقلت (من هي مرجريت؟) قالت (أنها ابنتك. أنت بعد فراقك الفجائي مباشرة. كانت طفلة جميلة. وكانت تعيش معنا - أنا ووالدتي - دون أن يعرف أحد عنها شيئاً، ولم نكن نسمح لها بالخروج فيما عدا الحديقة بعد الغسق. كان من الصعب أن نهدئ من حالها، فقد كانت دائمة اللهو والمرح، دائبة على اللعب والغناء. وكانت معجبة بالبجعة البيضاء وتحب أن تلهو بها، فتنهاها جدتها عن ذلك، لأن التمثال كان تحفة ثمينة. ولكن حدث في ذات يوم أن أسقطت البجعة فانفصلت رأسها. أظنك قد لاحظت المسمار المثبت في عنقها).

وكنت أعرف انه لم يكن هناك مسمار عندما كانت الطفلة تداعب بأناملها الجميلة جسم البجعة المصقول.

واستطردت تقول (كانت والدتي ذات مزاج حاد، وكان من الصعب عليها أن تساعدني في ولادة ابنتي التي لا يعرف الناس عن والدها شيئاً، بل كانت تشعر بالعار من ذلك. ولم يكن يزور دارنا القائمة على الجرف هناك سوى اللبان وبائع الصحف. وعندما رأت والدتي البجعة

المكسورة، انحنت على الطفلة، وقبل أن أمنعها، كانت قد لطمتها لطمة قوية على أذنها. ولم تكن والدتي في الواقع تعني أن تؤذيها، بل أرادت أن تلقنها درساً في الطاعة. وعدت مرجريت صاعدة إلى الطابق العلوي وهي تبكي وتنتحب، وشعرت بألم وارتباك من كل ما حدث فقد كنت مغرمة بالطفلة، حقيقة كنت احبها حباً شديداً. وفي تلك الليلة خرجت مر جريت من نافذة غرفتها وهربت ولا أدري كيف استطاعت النزول من ذلك الارتفاع، فقد كان من الصعب على طفلة مثلها أن تهبط على تلك النباتات المتسلقة الرفيعة.

وكدت أجن. ولم أجرأ على الحث عنها بحثاً دقيقاً خشية ألسنة الناس. على آية حال، مكثت طوال الليل هائمة عند الجرف. وفي الصباح عثرت على قطعة بيضاء من القماش ملتصقة على قمة إحدى الصخور الثلاثة، فنزلت ولا أدري كيف، فإني كما تعرف أخاف دائماً المرتفعات. كانت قطعة من مئزرها قد انحشرت بين نتوءين. فاستنتجت ما حدث. ومكثنا أسابيع ننتظر دون أن نجرؤ على التحدث، ولم نستطع النوم ليل نهار. وأخيراً وجدوا جثتها. كان قد لفظها البحر وقد ألقاها على الشاطئ على بعد أميال من هنا، في

مكان لا أعتقد أننا ذهبنا إليه يوماً ما. ولم يتبينوا شخصية الجثة، فإنه لم يبق منها شيء عندما. . .)

وفجأة أمسكت بمعصمي وقالت: (ألا تسمع؟).

وكدت أموت رعباً وأنا أقول (ماذا؟). قالت (توم. أنه قادم. لا تخبره بشيء. قل إني مريضة. قل إنه أغمى علي. قل أي شيء. . .).

وسمعته وهو يفتح الباب. فقلت لها في سرعة (ولماذا احتفظت بالبجعة؟)

فنظرت إلي كأنها لا تعي ما أقول. ثم قالت (إنها تحفة قيمة. لقد كانت والدتي تقول أنها ثمينة) وجعلت عيناها تتطلعان إلى السقف والحوائط والأركان، كأنها لا تدري من أي فضاء في العالم قد يعود شيء إليها، شيء كان عزيزاً عليها، ثم فقدته إلى الأبد.

صديقان حميمان
لويجي بيراند للو

كان جيجي ميار ينتظر مركبة الترام لتقله كالمعتاد إلى طريق باسترينو حيث مقر عمله وكان متذيراً بمعطفه ذلك الصباح، وقد وضع منديله على أنفه، ويديه في قفاز إنجليزي صفيق فإن المرء إذا ما جاوز الأربعين، فإن ريح الشمال لا تعد مزاحاً.

إن كل امرئ يعرف أن مركبة الترام لن تقبل بأية حال إذا كان في انتظارها. فإما أن تتعطل في منتصف الطريق لانقطاع التيار الكهربائي، أو تختار مركبة تمر عليها، أو شخصاً سيئ الحظ تدهمه تحت عجلاتها. وكانت ريح الشمال الباردة تهب بشدة في ذلك الصباح. وجعل جيجي ميار يرفع رجلاً وينزل أخرى، وهو يراقب النهر وقد بدا كأن المسكين يشعر بالبرد القارص أيضاً.

وأخيراً أقبلت مركبة الترام تدندن، وأخذ جيجي يستعد للقفز فيها وهي سائرة دون أن تقف، عندما سمع صوتاً آتياً من بونت - كافور ينادي (جيجي، أيها الصديق العزيز،

جيجي) فالتفت فرأى سيداً يهرول قاصداً نحوه، يلوح بذراعين كأنهما عموداً التلغراف. وفي تلك الآونة ابتعدت مركبة الترام. وكان عزاء جيجي على ابتعادها أن وجد نفسه بين ذراعي السيد الغريب الذي لابد أن يكون صديقاً حميما له، إذا حكم على ذلك من عنف القبلتين اللتين طبعهما الرجل على المنديل الحريري الذي يغطي وجهه.

وقال الرجل - أتعلم أني عرفتك في الحال، أيها العزيز؟! ألا تخجل من نفسك؟ أعطنا قبلة يا عزيزي لبلوغك هذه السن. إنك تبدو وكأنك كنت واقفاً في انتظاري. وعندما شاهدتك تمد ذراعك لتتعلق بمركبة الترام اللعينة قلت لنفسي (هذه خيانة محض خيانة). فقال ميار وقد علت شفتيه ابتسامة مغتصبة - نعم، كنت ذاهباً إلى المكتب.

- أرجوك، لا تحدثني عن مثل هذه الأشياء المنفرة.

- لماذا؟ - إني أعني ذلك. في الواقع أُلح.

- أنت شخص غريب الأطوار أتعرف؟

- نعم أعرف. ولكن خبرني، إنك لم تكن متوقعاً رؤيتي، أليس كذلك؟ إنه يبدو في وجهك.

- حسن، كلا. . . في الواقع.

- لقد وصلت مساء أمس. وأخوك يرسل إليك تحياته.

وهو - على فكرة، سأجعلك تضحك - لقد أراد أن يبعث إليك بكتاب يقدمني فيه إليك!. . . فقلت (ماذا! كتاب تبعث به إلى جيجي الصغير؛ ألا تعلم أني أعرفه قبل أن تعرفه أنت؟ نحن صديقان منذ الطفولة، ورفيقان في الدراسة الجامعية ألا تذكر بادوا القديمة الشهيرة؟ وذلك الناقوس الضخم الذي لم تكن تسمعه مطلقاً؟ فقد كنت تنام مثل - مثل - ماذا أقول - مثل الزغبة! أظن كان يجب أن أقول، كالخنزير. حسن. . . وعندما سمعته - مرة واحدة - حسبته إنذار حريق. . . ما أحلى تلك الأيام! إن شقيقك في صحة جيدة، وشكراً لله، فنحن مشتركان في عمل صغير. وأنا هنا من أجله، ولكن، ماذا بك؟ إنك تبدو كالجنازة أمتزوج أنت؟

فأجب جيجي ميار في دهشة وشدة - كلا يا عزيزي!

- على أهبة الزواج؟ - أمجنون أنت؟ بعد سن الأربعين؟ يا إلهي؟ كلا. لم أفكر في ذلك مطلقاً.

- أربعون! إنك تبدو في الخمسين أيها الصغير جيجي.

ولكن، لم لا؟ لقد كدت أنسى أن وجه غرابتك هو في أنك لا تسمع ما يحدث - من الأجراس والسنين. خمسون يا صديقي العزيز، خمسون سنة، أؤكد لك ذلك. لقد ولدت. .

دعني أفكر. . في أبريل عام ١٨٥١، أليس كذلك؟ ١٢ من أبريل.

وصاح ميار قائلاً في لهجة من التأكيد - لا تؤاخذني، في مايو. ولا تؤاخذني أيضاً عام ١٨٥٢، أتعرف أحسن مني؟ ١٢ مايو سنة ١٨٥٢، وعلى ذلك فسني الآن ٤٩ سنة وبضعة أشهر.

- وبلا زوجة! هذا عظيم! أنا متزوج، ألا تعرف؟ آه، بلى، إنها مأساة. سأجعل جانبيك ينفجران من الضحك، وفي أثناء ذلك، سأعتبر نفسي بالطبع، مدعواً للغداء عندك. أين تأكل هذه الأيام؟ ألا زلت تقصد مطعم باربا القديم؟

وتعجب جيجي في دهشة بالغة وقال - يا إلهي، أتعرف أيضاً أني أذهب إلى باربا؟ أظنك كنت من رواده.

- أنا، عند باربا!؟ كيف أكون هناك وأنا في بادوا؟ لقد علمت وسمعت عن ذهابك أنت والآخرين تقصدون - أيحق لي أن أقول الحانة، أو الهيكل، أو مكان الأكل؟

فأجاب ميار - سمعها الحانة، أو ما شئت، ولكن إذا كنت ستتناول طعام الغذاء معي فلا بد أن أخبر الخادم بذلك.

- صغيرة، أليس كذلك؟

- أوه، كلا، عجوز يا صديقي، عجوز. فضلاً عن أني انقطعت عن الذهاب إلى باربا. ثم لم أتردد عليه منذ ثلاثة أعوام. فأنت في سن معينة. . . - بعد الأربعين.

- بعد الأربعين، يجب أن تتحلى بالشجاعة، وتدير ظهرك للطريق الذي قد يؤدي بك إلى الهاوية. فإن أردت التردي - حسن، فليكن ذلك، على أن تنزلق في بطء، في منتهى البطء وفي خفة، محاذراً ألا تتدحرج، أو تتعثر فتسقط. حسن، ها قد وصلنا. سأطلعك على ما قمت به من عمل طيب بسيط لداري الصغيرة.

وأخذ صديق جيجي ميار يردد قائلاً وهو يصعد الدرج خلفه - في بطئ في منتهى البطء، وفي خفة. . علم طيب بسيط. . دارك الصغيرة. مخلوق ضخم التكوين مثلك يتأنق! مسكين أنت يا جيجي! ما الذي فعلوه بك؟ أحرقوا ذيلك؟ أتود أن تترقرق عيناي بالدمع؟

فقال ميار وهو ينتظر حتى تفتح الخادم الباب - حسن، يجب أن نكون في وفاق مع وجودنا اللعين، عند هذه المرحلة من العمر. دلل هذا الوجود، تملقه حتى بالتوافه، وإلا جعلك تافهاً. إني لا أود بأية حال من الأحوال أن أجد نفسي مدفوناً في حفرة عمقها أربعة أقدام. لا، لست أنا.

فقال الآخر يحاول أن يجادله في هذه النقطة - إذا فأنت تعتقد في الرجل أنه حيوان من ذوي الساقين؟ لا تقل إنك تعتقد ذلك يا جيجي الصغير؟ أنا أعرف أية مجهودات أبذلها لأظل قائماً على قدميَّ. صدقني يا صديقي، لو تركنا الطبيعة تسير في طريقها لأصبحنا من ذوات الأربع. إن هذه المدينة اللعينة تهدمنا لو كنت من ذوات الأربع لأصبحت حيواناً متوحشاً جميلاً، ولرفصتك رفصات عديدة بسبب ما حدثتني عنه، ولأصبحت بلا زوجة، وبلا ديون، وبلا هموم. أتريدني أبكي؟

ودهش جيجي من حديث صديقه، ذلك الذي هبط إليه من السحاب وجعل يتأمله وينقب في أركان ذهنه عن اسم ذلك الشيطان، وكيف ومتى عرفه في بادوا، سواء في طفولته أو في دراسته الجامعية. واستعرض في مخيلته أصدقاءه الحميمين كل من كان يعهدهم في تلك الأيام، دون ان يطابق أحدهم ملامح هذا الرجل. على أية حال، أنه لا يجرؤ على سؤاله، فقد كان يخشى أن يجرح شعوره بعد أن بدت منه كل هذه المودة. فعزم على أن يعرف الحقيقة عن طريق اللف والمداورة.

ومكثت الخادم مدة طويلة دون أن تستجيب إلى قرع الباب فقد كانت لا تتوقع أوبة سيدها سريعاً. وقرع الباب مرة أخرى وأخيراً وقع أقدامها.

وقال لها ميار: ها أنذا قد عدت ثانية أيتها الفتاة العجوز ومعي رفيق فاعتني به، وانتبهي، فلا يقبل مزاحاً مع صديقي هنا، صديق ذي الاسم الغريب. . .

فقال الرجل وهو يضحك مما جعل المرأة لا تدري هل تشاركه ضحكة أو تعبس في وجهه: (إنسان متسلسل من تيس بقرنين ولحية!). ولا يميل أحد إلى التعرف بذلك الاسم الجميل، اسمي أيتها الفتاة! لقد جعل وجوه مديري البنوك تلتوي، والدائنين يترنحون. ما عدا زوجتي. كانت مسرورة به. إنه الاسم الوحيد الذي وهبته لها. ادخل يا جيجي، ودعني أرى رياشك ومتاعك المسكين. .

وقاده ميار وقد خاب أمله من جراء فشله في معرفة اسمه، وجعل يطلعه على شقته الصغيرة وغرفها الخمس، وقد امتلأت بالرياش في عناية وترتيب. وزاد عذابه في غرفة الاستقبال عندما سمع صديقه يتحدث في مودة كبيرة عن أشيائه العائلية، ويتطلع إلى الصور القائمة فوق الموقد ويقول:

- وددت يا جيجي الصغير لو كان لي زوج أخت مثلك. لو عرفت أي وغد تزوجت أختي؟

- أيعامل شقيقتك معاملة سيئة؟

- كلا، بل يسيء معاملتي أنا. لقد كان من الهين عليه أن يساعدني في عسري. ولكن لا، ليس هو الذي يفعل ذلك.

- أرجو المعذرة، إني لا أذكر اسم زوج شقيقتك.

- لا داعي للاعتذار. إنك لا تذكره؛ لأنك لا تعرفه. إنه لم يقدم إلى بادو إلا منذ سنتين. أتدري ما الذي فعله بي؟ إن شقيقك كان رؤوفاً بي ووعد أن يساعدني، إذا قبل هذا التعس أن يبدل سنداتي - ولكن صدقني، لقد رفض أن يفعل ذلك. وشقيقك، مع أنه غريب، قبل أن يأخذ مشكلتي بين يديه وهو ساخط ناقم عليه. فلأخبرك عن سبب رفض زوج شقيقتي لقد كانت شقيقته سيئة الحظ فوقعت في شراك حبي. يا للفتاة المسكينة! لقد سممت نفسها. . .

فقال ميار: - توفيت؟

- كلا، لقد لفظ جوفها ما ابتلعته؛ ولذلك شفيت. ولكنك تستطيع أن تدرك أنه أصبح من المستحيل على أن أطأ عتبة دار شقيقها بعد هذه المأساة. يا إلهي ألا نأكل؟ أصبحت لا أرى من الجوع. أكاد أموت جوعاً كالذئب!

وعندما كان يتناولان الطعام على المائدة جعل جيجي ميار يدفعه عن طريق الثقة المتبادلة بين الأصدقاء، على أن يحدثه عن أخباره في بادوا، لعله بذلك يزلق لسانه فيذكر اسمه على الأقل. وكان ضيفه إذ ذاك يزداد شيئاً فشيئاً. فقال له حدثني عن بعض أخبارك - كيف حال فالفيرد مدير بنك إيطاليا، وزوجه الحسناء وشقيقتها الحولاء، ألا يزالون في بادوا؟

وإذا بصديقه ينفجر ضاحكاً. فقال ماير في دهشة - ما الأمر؟ أليست شقيقتها حولاء؟ فرجاه الآخر أن يكف عن أسئلته وقد ارتجف بدنه وتملكه نوع من التشنج من كثرة الضحك الذي كان يحاول كتمانه دون جدوى، وقال له - أصمت لحظة، بحق السماء، أصمت. حولاء؟ لم أكن أعتقد أنها كذلك. وذلك الأنف المتسع الذي ترى منه مخها! نعم إنها نفس المرأة.

- أية امرأة؟ - زوجتي!

وشده جيجي ماير دهشة. ولم يبق له من قوته إلا ما يستطيع بها أن يتمتم بعض كلمات الاعتذار. ولكن ظل الرجل سادراً في ضحكه أكثر من ذي قبل، إلى أن هدأ أخيراً، ثم عبس، ثم أخذ نفساً عميقاً، وأخيراً قال: - يا

صديقي العزيز، هناك في الحياة بطولة لا تستطيع حتى مخلية الشاعر أن تتصورها.

فتنهد ميار قائلاً: - نعم، حقاً، أنت على صواب. . . إني أعرف ماذا تعني.

فعارضه الآخر قائلاً: - إنك لا تعرف شيئاً مطلقاً. أتعتقد أني أنوه عن نفسي؟ أنا البطل. أنا لست إلا الضحية! إن الشجاعة صفة نادراً ما تتحلى بها شقيقة زوجتي، زوجة لوسيوفالفيرد أصغ لي قليلاً. يا إلهي ما أغباك أيها الرجل!

- كلا، أنا أنا! في خداع نفسي بأن زوجة لتوتشيوفالفيرد تعشقني، لدرجة أنها تزوجت زوجها. ولكن ماذا تظنه حدث؟ مثال من الروح التي لا تبالي في سبيل التضحية، كما ستسمع.

دعتني ذات مرة إلى دارها، وكان زوجها متغيباً. وعندما حدثت اللحظة المؤلمة التي فوجئنا فيها سوياً، أخبأتني في حجرة شقيقتها السيدة الحولاء، فاستقبلتني في حياء وخجل، وبدت كأنها تضحي بنفسها في سبيل شرف أختها. ولم يكن عندي متسع من الوقت لأصيح. . ولكن يا سيدتي العزيزة، انتظري لحظة. كيف يصدق لوتشيو ذلك. فقد اندفع لوتشيو غاضباً مزمجراً. وتخيل أنت الباقي.

فصاح ميار متعجباً - ماذا؟ أنت، بكل ما فيك من ذكاء؟

فقال الآخر - وديوني؟ فقد يرفض مدي بما يلزمني من المال. دعنا من ذلك الحديث أرجوك. على أية حال وازنت بين حقيقة كوني لا أملك فلساً، وبين عدم رغبتي في الزواج. .

فقاطعه ميار قائلاً: - ماذا؟ أتزوجتها؟

- أوه، كلا، إنها هي التي تزوجتني. إنها هي التي تزوجت فقط. لقد حدثتها في ذلك وكلمتها بكل صراحة. قلت أيتها السيدة، إذا أردت اسمي. حسن، إذاً، خذيه. إني أكاد لا أعرف ما الذي أفعل به، أقسم لك. أكاف هذا؟

وجازف ميار قائلاً: - إذا فهذا ما حدث؟ لقد كان اسمها فالفيرد، ثم أصبح الآن. . .

فضحك الآخر وهو يهب قائماً - تماماً.

وهتف جيجي ميار، وقد أصبح لا يحتمل أكثر من ذلك وتمالك شجاعته بين يديه وقال: كلا، اصغ، لقد تمتعت معك بصباح طيب. وعاملتك كما لو كنت أخي. والآن يجب أن تقدم لي معروفاً. - لعلك تود أن أقرضك زوجتي؟

- كلا، شكراً. أود أن تخبرني عن اسمك.

فسأله في دهشة وهو يطرق بأصبعه على صدره، وكأنه يشك في وجوده - أنا؟ أسمي؟ ماذا تعني؟ ألا تعرف؟ ألا

تستطيع أن تتذكر؟ فأجاب ميار معترفاً في حياء - كلا، أرجو المعذرة، سمني أكبر رجل عديم الذاكرة في العالم. ولكني أكاد أقسم أني لم أرك مطلقاً.

- أوه، عظيم جداً، عظيم جداً، يا عزيزي جيجي الصغير، ضع يدك في يدي. إني أشكرك من أعماق قلبي على حسن ضيافتك - ولكني سأذهب دون أن أخبرك - وهذا كل ما هنالك!

فانفجر جيجي ميار صائحاً وقد هب واقفاً على قدميه - ستخبرني، عليك اللعنة! لقد أرهقت عقلي طول الصباح، ولن أدعك ترحل دون أن تخبرني.

فأجابه الآخر في هدوء وثبات - اقتلني، قطعني إرباً، ولكني لن أخبرك!

فأخذ ميار مرة أخرى يعدل من لهجته وقال - كن رجلاً طيباً. إني لم أجرب مثل هذه التجربة من قبل - فقدان الذاكرة - أنت تعرف. إني أقسم لك أنه شعور مؤلم. فخبرني عن اسمك بحق السماء. . . . ابحث عنه بنفسك.

- استمع إليّ. إن ضعف ذاكرتي لم يمنعني عن السماح لك بالجلوس على مائدتي. وفي الواقع، حتى إذا لم أكن أعرفك على الإطلاق، فقد أصبحت الآن عزيزاً لديَّ.

صدقني. إني أشعر بشعور الأخوة نحوك، وأعجب بك، وأود أن تظل معي دائماً. فخبرني إذا عن اسمك.

فقال الآخر في حزم - لا فائدة ترجى من ذلك. أنت تعرف أنك ستنساني إذا ما رجلت. كن عاقلا. أتود أن تحرمني من تلك اللذة التي لم أكن أتوقعها، لذة تركي إياك دون أن تعرف من يكون ضيفك؟ كلا. . اذهب. . إنك تطلب الشيء الكثير. إني أرى جيداً أنك لا تملك أية ذاكرة نحوي. فإذا لم تكن تود أن تجرح شعوري بذلك النسيان، فدعني أذهب كما سأفعل الآن

فصاح جيجي بغضب عاصف - اذهب إذاً، سريعاً، هذا كل ما أطلبه. إني لا أحتمل رؤيتك بعد الآن.

- حسن، إني ذاهب. ولكن اسمح لي أولا بقبلة صغيرة يا جيجي الصغير.

فأجاب ميار صائحاً - إني أرفض، إلا إذا أخبرتني. .

فقاطعه الآخر قائلاً - كلا، كلا، هذا كل ما هنالك. والآن. إلى الملتقى. وذهب ضاحكاً. والتفت إليه وهو يتأهب في نزول الدرج؛ وأرسل إليه قبلة في الهواء. . .

قصة طفل
شارلس ديكنز

يحكي أنه منذ سنوات كان هناك مسافر، يقوم برحلة سحرية. فقد وجد عندما بدأ القيام بها، أنها تبدو طويلة جداً، وقصيرة جداً عندما وصل إلى منتصفها.

وسار في طريق حالك بعض الوقت دون أن يقابل أحداً. ثم التقى أخيراً بطفل جميل، فقال له (ماذا تفعل هنا؟ (فأجاب الطفل) أني دائماً في لهو ومرح، فتقدم وامرح معي!).

ولعب مع الطفل طول اليوم، وكانا سعيدين. كانت السماء زرقاء، والشمس مشرقة، والماء متألقاً، وأوراق الشجر مخضرة، والأزهار يانعة. واستمعا إلى تغريد الطيور، وشاهدا مختلف الفراش، وراقبا هطول المطر، واشتما الروائح الزكية. وكانا يسران من الاستماع إلى هبوب الرياح، ويتخيلان ما تهمس به، عندما تندفع مقبلة من موطنها. ويتساءلان في عجب عن أصل نشأتها، وهي تصفر وتزمجر، وتدفع بالسحب أمامها، وتحني الأشجار في طريقها، وتندفع

خلال المداخن، وتهز الديار هزاً، وتثير غضب البحر فيهدر مزمجراً. وما أجمله مشهداً عندما يتساقط الجليد، فيتمتعان برؤية البرد النازل في سرعة وغزارة، وكأنه الزغب الساقط من صدور ملايين الطيور البيضاء. ويشاهدان تراكم الثلج الناعم، ويستمعان إلى الهمسات الصادرة من الدروب والطرقات. وكان لديهما العديد من أجمل الألعاب في العالم، وأغرب الكتب المصورة.

ولكن في ذات يوم، وعلى غير انتظار، تفقد المسافر الطفل فلم يجده. وناداه مرات ومرات دون أن يسمع مجيباً. فتابع سيره في طريقه، ومشى مدة من الزمن دون أن يقابل أحداً، حتى التقى أخيراً بصبي حسن الطلعة، فقال له (ماذا تفعل هنا؟) فأجاب الصبي (إني أتعلم، هلم وتعلم معي).

وأخذ يتعلم مع الطفل عن جوبيتر، وجونو، والإغريق والرومان، وشتى مختلف العلوم. وكان لديهما بجانب ذلك أبهج أنواع الألعاب الرياضية. فكانا يجدفان في النهر صيفاً وينزلقان على الثلج شتاء، ويعدوان في نشاط، أو يمتطيان صهوات الجياد. وهكذا كانا يمارسان شتى أنواع الرياضة، حتى أصبحا لا يفوقهما أحد فيها. وكانت لهما حفلات للرقص، ومسارح يتمتعان فيها برؤية قصور من الذهب

واللجين. وشاهدا كل عجائب العالم. وكان لديهما من عزيز الأصدقاء ما لا يعد ولا يحصى.

ومع ذلك، ففي ذات يوم افتقد المسافر الصبي مثلما افتقد الطفل وبعد أن ناداه دون جدوى تابع رحلته. وسار فترة من الزمن دون أن يشاهد أحداً، حتى التقى أخيراً بشاب، فسأله (ما الذي تفعله هنا؟) فأجاب الشاب (إني أعشق دائماً. أقبل واعشق معي).

وسار المسافر مع الشاب فالتقيا بفتاة من أجمل ما شاهد من الفتيات، ذات عينين نجلاوين، وشعر أثيث، وابتسامة خلابة ووجه مشرق. ووقع الرجل في حبها من النظرة الأولى. ومعذلك كانا يغضبان في بعض الأحيان، ويتشاجران، ويتخاصمان ويجلسان في الظلام يكتبان الرسائل كل يوم. ويختلسان النظر إلى بعضهما، ثم يصطلحان في حفلة عيد الميلاد، ويعتزمان الزواج في أقرب وقت.

ولكن المسافر تفقدها ذات يوم مثلما تفقد الشاب فلم يجدها، وبعد مناداته عليهما تابع رحلته. ومشى فترة من الزمن دون أن يرى أحدا، ثم التقى أخيراً بسيد متوسط

العمر فقال له (ماذا تفعل هنا؟) فأجاب (إني مشغول دائماً. تعال واشتغل معي).

وهكذا تعددت مشاغله. وذهب مع السيد إلى الغابة. وأصبحا يرحلان إليها كثيراً. وكانت الغابة بادئ ذي بدء مكشوفة خضراء ثم أخذت تتكاثف وتظلم، وحاول لون أشجارها التي كان قد ألتقي بها مبكراً إلى لون قاتم. ولم يكن السيد وحيداً، بل كانت ترافقه سيدة في مثل عمره، وهي زوجته. وكان لهما أولاد أيضاً. وذهبوا جميعاً يخترقون الغابة، ويقطعون الأشجار وينشئون دروبا بين الأفنان، ويعملون في حرارة.

وكان أحيانا يقابلهم طريق أخضر مكشوف في غابات كثيفة. ويستمعون إلى صوت على مقربة منهم يقول (أبتاه، أبتاه، أنا طفل آخر! انتظرني!) ثم يشاهدون شخصا صغيرا جدا ينمو ويكبر وهو مقبل يعدو ليلحق بهم، حتى إذا ما وصل، التفوا حوله، وقبلوه، ورحبوا به، ثم تابعوا سيرهم جميعا.

وكانوا أحيانا يلتقون بطرق مختلفة في وقت واحد فيقفون. ثم يقول أحد الأولاد (أبتاه إني ذاهب إلى البحر) ويقول الآخر (أبتاه، إني راحل إلى الهند)، والثالث (إني

مسافر لأبحث عن الثروة أينما استطعت) ويقول الرابع (أبتاه، إني مرتفع إلى السماء!) وهكذا يفترقون وقد فاضت دموعهم في غزارة. ويذهبون، كل منهم في طريق من هذه الطرق. ويرتفع الطفل الصاعد إلى السماء، يرتفع في الهواء الذهبي، ثم يختفي.

وكان حينما يحدث مثل هذا الفراق، ينظر المسافر إلى السيد فيشاهده يتطلع إلى السماء فوق الأشجار، حيث يأخذ النهار في المضي، وتبدأ الشمس في الغروب. ويلاحظ شعره وقد اشتعل شيباً.

ثم ساروا يقطعون رحلتهم دون أن يستريحوا لحظة. فقد كان من الواجب عليهم أن يكونوا منشغلين. وهكذا أقبلوا على طريق أكثر حلكة من غيره، واندفعوا في رحلتهم، عندما وقفت السيدة وقالت (زوجي، أنهم ينادونني).

فأصغوا فاستمعوا إلى صوت آت من بعيد يقول (أماه، أماه!) كان صوت الطفل الأول الذي قال أنه صاعد إلى السماء. وقال الأب (لا تذهبي الآن، أرجوك، إننا على وشك الغروب، لا تذهبي الآن، أرجوك). ولكن الصوت نادى (أماه، أماه) دون أن يبالي به ولا بما أصبح عليه السيد من بياض الشعر وغزارة الدمع.

وعندئذ قبلت الأم زوجها وهي تبتعد عنه، وتنسحب في الطريق المظلم، وتحرك ذراعيها ولا يزالان ملتفتين حول عنقه. وقالت له (يا أعز أعزائي، لقد نادوني، وها أنذا ذاهبة) ثم رحلت، وظل الزوج والمسافر وحيدين.

واستمرا في سيرهما حتى اقتربا من نهاية الغابة. فاستطاعا أن يشاهدا الشمس تغرب أمامها بأشعتها الحمراء خلال الأشجار.

وبينها كان المسافر يشق طريقه خلال الأفنان، إذ فقد الرجل. ونادى، ثم نادى دون مجيب. وأخيرا سار وحيدا حتى أقبل على رجل كهل جالس على شجرة ساقطة، فقال له (ماذا تفعل هنا؟) فأجاب الكهل في ابتسامة وديعة (إني أتذكر دائما. أقبل وتذكر معي!).

وهكذا جلس بجوار الكهل وجهاً لوجه يشاهد غروب الشمس الصافية وجعل يتذكر، فأقبل عليه أصدقاؤه عائدين في هدوء، ووقفوا وأحاطوا به. الطفل الجميل، والصبي الحسن الطلعة، والشاب العاشق، والأب والأم والأولاد. كانوا كلهم حوله. ولم يفقد منهم أحداً.

وهكذا أحبهم جميعاً، وكان رحيما رفيقاً بهم، ومسروراً بوجودهم. وكانوا يجلونه ويعشقونه.

وأظن أن هذا المسافر هو أنت يا جداه؛ لأن هذا هو ما فعلته بنا، وهذا ما فعلناه بك.

obeikandl.com

الطفل الضال
ملك راج أناند

كان ذلك اليوم مهرجان الربيع، وقد خرج الناس مبتهجين في حلل قشيبة، وازدحمت بهم الطرقات، يسيرون وكأنهم حشد من الأرانب المتعددة الألوان اندفعت خارجة من أجحارها. وأغرقّتهم الشمس في بحار أشعتها العسجدية، أثناء سيرهم قاصدين السوق. فمشى البعض على قدميه، وامتطى البعض صهوة جواده، وجلس البعض الآخر تحمله مختلف المركبات.

وهرول صبي صغير، مفعم بالنشاط والبشر، وكأنه ذلك الصباح المشرق البسام يرحب بالناس في حرارة ويدعوهم بصدر رحب إلى ارتياد الحقول بأزهارها وأغانيها.

وناداه والداه (هلم يا بني، هلم) وقد تباطأ خلفهما. كانت قد جذبته رؤية الدمى القائمة في الحوانيت المصطفة على جانبي الطريق. وأسرع الصبي الخطى صوب والديه. وقد لبت قدماه نداءيها ولما تزل عيناه تتطلعان إلى الدمى

وهي تبتعد عن ناظريه. وعندما أقبل إلى حيث وقفا ينتظرانه لم يستطع كبت رغبة فؤاده على الرغم من مشاهدته نظرات الرفض الباردة التي كانت تبدو في أعينهما، والتي كأن معتاداً رؤيتها في توسل (أريد تلك الدمية).

ونظر إليه والده نظرة صارمة بعينين متقدتين، وأولته والدته - وقد ذاب فؤادها بهجة ذلك اليوم - نظرة من العطف، ثم ناولته أصابعها ليمسك به وهي تقول (أنتبه أمامك يا بني).

وما كد ضيق الطفل - الذي أنتابه لعدم تحقيق رغبته - يخمد في الزفرة الحارة المتصاعدة مع أنفاسه وهو ينادي والدته بصوت متقطع، حتى امتلأت عيناه الشفافتان بهجة ما بدا أمامه. كانوا قد تركوا الطريق وغباره، ومشوا في حركة التفاف صوب الشمال، ثم سلكوا طريقاً داخل حقل مزدهر ينبتان الخردل الباهت وكأنه الذهب السائل، أنتشر أميالاً وكأنه نهر من الضوء الأصفر يتماوج مع الريح، وتجري أمواجه لتصب في محيط الضوء اللجيني للأفق البعيد. وقامت الديار على جوانب الحقل بجدرانها الطينيه، وقد تعالت منها أصوات قطانها وصفيرها وصخبهم

وهمهمتهم، ترتفع صوب قبة السماء الزرقاء وكأنها صوت ضحكة (سيفا) الجنونية.

ورنا الطفل إلى والديه وقد غمرته البهجة والإعجاب بتلك الغابة الشاسعة. وبدا له كأنما أشرقت السعادة على محياهما، فترك الطريق، واخترق الحقل، يعدو ويطفر وكأنه المهر.

كانت جموع من اليعاسيب تطن بأجنحتها الشفافة الأرجوانية وتترقب تحليق نحلة سوداء منفردة أو فراشة تبحث عن رحيق شذى من أعماق الزهور. وتبعها الطفل بناظريه، وحاول أن يمسك أحدها وقد طوى جناحيه. ولكن سرعان ما فردهما وحام في الهواء. وقامت نحلة سوداء جريئة باستهوائه بطنينها حول أذنيه حتى تتجنب القبض عليها، أن تستقر على شفتيه لولا أن نبهته والدته قائلة (هلم يا بني، هلم، تعال إلى الطريق).

وقصد إلى والديه مبتهجاً، وسار معهما جنباً إلى جنب. ثم إذا به يتركهما وقد جذبته رؤية الحشرات والديدان تسعى على طول الطريق، وقد خرجت من مخابئها لتتمتع بأشعة الشمس.

وناداه والداه وقد جلسا على حافة بئر، يتفيآن ظل دغل، فجرى صوبهما، كانت شجرة التين قد بسطت أذرعتها القوية على الأهليج المزدهر وغيره من النباتات، وألقت بظلها على أحواض الزهور الذهبية والقرمزية، وكأنها جدة بسطت ذيلها على أحفادها الصغار. وقامت البراعم بعبادة الشمس وقد كشفت قليلاً عن أوراقها في حياء. واختلط العبيق الشذي بحبوب لقاحها بالنسيم العليل يهب بين الفينة والفينة.

وتساقط فيض من الزهور الصغيرة على الطفل عندما أتى الدغل، فنسي والديه وأخذ يجمع بين يديه أوراقها المنهملة كالمطر. ولكن. . ما هذا!؟ لقد سمع هديل الحمام، فأسرع إلى الخطى صوب والديه هاتفاً (الحمامة! الحمامة!) وسقطت أوراق الزهور العديدة من يديه المتخاذلتين، وبدا على وجه والديه نظرات الاستغراب والفضول وهتفا يناديان الطفل (تعال يا بني، تعال).

كان الصبي قد ذهب يعدو في طفرات جنونية حول الشجرة فانضموا إليه، ثم سلكوا الطريق الضيق المنحني الذي يؤدي إلى السوق. واستطاع الطفل عند وصوله أن يشاهد العديد من الطرق تعج بالناس القادمين إليه.

ونادى بائع على ما يعرضه من الحلوى، وهو قابع في ركن من أركان السوق، واحتشد الناس حوله وقد قامت تحت أقدامه أكوام منتظمة من الحلوى الملونة المزكرشة بأوراق مذهبة ومفضضة وحدق الطفل فيها وقد اتسعت عيناه وسال لعابه من رؤيته حلواه المفضلة (البوفي)، وتمتم في بطأ قائلاً (أريد البوفي). ولكنه كان يدري أن هذا الطلب لن يلقى أذناً صاغية، فقد يقول عنه والده أنه شره ولذلك أبتعد دون أن ينتظر أية إجابة.

ونادى بائع الزهر على باقته المختلفة، وبدا الطفل كأنه جذب بالشذى الدائم الذي أتى إليه سابحاً على أجنحة النسيم الواهن. فذهب صوب السلة حيث ترقد باقات الزهور وتمتم قائلاً: (أريد تلك الباقة). ولكنه كان يعرف جيداً أن والديه سيرفضان شراءها، فقد يقولون أنها زهور تافهة، ولذلك تحرك مبتعداً قبل أن ينتظر أجابتهما.

وأمسك رجل بعمود خشبي تدلت منه بالونات تتطايح بألوانها المتعددة، فمنها الأصفر والأحمر والأرجواني، ودهش الطفل من جمال ألوانها وكأنها قوس قرح. وغمرته رغبة جارفة في امتلاكها جميعاً. ولكنه كان يدرك تماماً أن

والديه لن يبتاعاها له، فسيقولان أنه أكبر من أن يلعب بمثل هذه الألعاب، ولذلك سار مبتعداً عنها.

ووقف مشعوذ يصفر بمزماره لأفعى تتلوى في سلة، وقد أرتفع رأسها في انحناءة لطيفة وكأنها عنق إوزة. وانسابت الموسيقى إلى أذنيه الخفيفتين وكأنها خرير مسقط ماء صغير. وكاد الصبي أن يتجه إلى والديه لولا أنه كأن واثقاً أن والديه سيمنعانه عن سماع مثل هذه الموسيقى الفظة، فتابع سيره مبتعداً.

وكانت هناك عجلة دائرة في أبان حركتها محملة بالرجال والنساء والأطفال وهي تتحرك بهم حركة سريعة. وشاهدهم يتصايحون في ضحكات جزلة، وراقبهم يدورون ويدورون وقد علت شفتيه ابتسامة حياء زاهية. وعينيه تتماوجان مع حركة العجلة، وفغر فاه دهشته وقد بدأت العجلة تهدئ من سرعتها تدريجياً. ووقف الطفل مذهولا وإصبعه في فمه يشاهدها وهي تقف. وفي هذه المرة - وقبل أن ينطفئ شوقه الشديد بذلك الإصرار الأبدي على رفض كل طلب له - قال في جرأة (أريد أن أركب العجلة الدائرة، أرجو يا أبتي، وأنت ياأماه) فلم يسمع أي جواب وتلفت ينظر إلى والديه فلم يجد لهما أثراً.

وانفلتت من حنجرته الجافة صيحة مدوية عميقة، وفجأة أندفع يجري وهو يصيح في رعب (أبي، أمي) وانهملت الدموع من عينيه، غزيرة جارفة. واختلج وجهه الممتقع خوفاً، وعدا وقد تملكه الفزع، من ناحية إلى أخرى، في شتى الاتجاهات، دون أن يدري أين يذهب. ونشج بالبكاء وهو ينادي (أماه، أبتاه) وقد تبللت حنجرته بما أبتلعه من لعاب، وانحلت عمامته الصفراء، وثقل جسمه الخفيف، وصار ككتلة الرصاص، بعدما ابتلت ملابسه بما تصبب من جسمه من العرق وما أختلط بها من غبار.

وبعد أن هرول هنا وهناك مقهوراً على أمره، وقد تحول صوته إلى عويل. وشاهد عن بعد، خلال عينيه وقد علتهما طبقتان شفافتان من الدمع، رجالا ونساء راقدين على العشب الأخضر، يتحدثون ويتسامرون. وحدق فيهم بين رقع ملابسهم الصفراء اللامعة، لعله يشاهد أثراً لوالدته أو والديه بين أولئك الناس، وقد بدا المرح على ملامحهم، يتحدثون ويضحكون لمجرد الضحك والحديث وجرى لفي حرارة مرة أخرى، وقصة حرم معبد احتشد فيه الناس. كانت كل بقعة من الأرض تموج بالناس، وعدا بين أرجلهم، وكانت صيحاته الصغيرة تنادي لهفة (أماه، أبتاه) وازردادت كثافة

الحشد قرب المعبد. كان الناس يتدافعون بالمناكب، رجال ثقلاء بأعين لامعة من الغدر وأكتاف ثقيلة. وجاهد الطفل يشق طريقه بين أقدامهم، ولكن كانوا يدفعونه هنا وهناك بمخالبهم المتوحشة. وكادوا أن يطئوه بأقدامهم لولا أنه صرخ يقول في صوت جوهري (أبتاه، أماه) فسمعه رجل منهم وانحنى في مشقة ورفعه بين ذراعيه.

وسأله الرجل وهو ينأى به بعيداً عن هذه الكتل المتراصة (كيف جئت إلى هنا يا بني؟ أبن من أنت؟).

وبكي الطفل في مرارة زادت عن ذي قبل وصاح قائلاً (أريد أبي، أريد أمي).

وحاول الرجل أن يهدئ من روعه فأخذه إلى العجلة الطائرة وقال له وهو يقترب منها (ألا تود أن تجلس على أحد جياد العجلة.؟)

وخرجت من حنجرة الطفل آلاف النشجات المدوية، ولم يجب إلا بقوله صائحاً (أريد أمي، أريد أبي).

واتجه الرجل صوب المكان الذي لا يزال المشعوذ يصفر فيه بمزماره إلى الكوبرا الراقصة وقال في رجاء (استمع إلى هذه الموسيقى الساحرة يا بني) ولكن الطفل صم أذنيه وصاح (أريد أمي، أريد أبي).

وحمله الرجل إلى مدخل المدينة، وكان لا يزال يشفق على الطفل ويرغب في الترفيه عنه، ووقف أمام بائع الزهور وقال له (أنظر، ألا تود أن تشم شذى هذه الزهور اللطيفة يا بني؟ ألا تريد باقة تضعها حول عنقك؟).

وأبعد الطفل أنفه عن السلة وردد نشيجه قائلاً (أريد أبي، أريد أمي).

وظن الرجل أنه قد يبتهج الطفل وتذهب عنه كآبته لو أهداه قطعة من الحلوى، فأخذه إلى البائع وسأله (ما الذي تختاره من هذه الحلوى يا بني؟).

ونحى الصبي وجهه عنها وبكى قائلاً (أريد أبي، أريد أمي)

obeikandl.com

حيوان أليف
شيما زاكي توسون

لازمها سوء حظها منذ ولادتها. لقد أقبلت إلى العالم بشعر قصير أشهب، وأذنين واقفتين، وعينان تشبهان عيني الثعلب. إن كل ما يدعي حيواناً أليفاً يتحلى بصفات تجذب شعور الصداقة بينه وبين الناس. بيد أنها لم تكن حائزة أية صفة منها. ولم يكن يبدو على ملامحها ما يحببها إلى البشر. كانت تعوزها خواص الحيوان الأليف. وبطبيعة الحال، أهملوا أمرها.

ومع ذلك، كانت كلبة: حيواناً لا يستطيع أن يعيش منفرداً. وكان من المستحيل عليها أن تنبذ عادتها الموروثة في أن يجود عليها الناس بالطعام. ولذلك أخذت تبحث عن دار تلائمها.

وهام ذلك الكائن المجهد في ضيعة كن سان المزارع، وكان قد انتهى من إنشاء الدار الجديدة ذات السقف الخشبي، المقامة بجوار طريق قرية إكويو بحيث يستطيع أي إنسان أن يقصد الطريق الرئيسي من خلال فنائها الخلفي. وكانت

أرضيتها مرتفعة وتربتها جافة، فضلا عن أنه كان بها فناء ضيق حالك ذو فرجة بين مدخله والحاجز القائم بين هذه الدار وتلك التي تليها، تستطيع فيها أن تخفي نفسها في الحال عندما يقضي الأمر ذلك. ولم تتوان لحظة في احتلال هذا المخبأ الكائن تحت الأرض.

ثم دعتها الحاجة الملحة إلى الحصول على الطعام. وأرشدها أنفها الحساس إلى الطريق صوب المطبخ. ولم يكن لديها وقت للاختيار، فقد كانت جائعة. فأخذت تأكل ما يصادفها: قشور الفاكهة، وحساء بارد نتن الرائحة، وأوعية من الطعام الفاسد. فإذا لم يكفها كل هذا، قامت تتشمم ما حولها، حتى كومة الغبار، وتصيد أقصى ما تستطيع صيده. ووجدت هناك جوارب قذرة مشربة بماء الغسيل بجوار الحائط، فجعلت تشرب الماء المتساقط منها في سرور.

كانت هناك في الحديقة شجرة قديمة، فعزمت على أن تجعل من ظلالها موضعاً لراحتها، فتمدد أقدامها الأربع على الأرض الدافئة من حرارة الشمس الساطعة خلال الأفنان. وتتثاءب أو تحك مواضع في جسمها. وعندما يأتي المساء تدلف إلى ملجأها تحت الأرض وترقد على أجولة الفحم. وهكذا بدأت حياتها.

كانت عائلة كن سان تحتفظ في ذلك الوقت بكلب أسمر اللون يدعى بوتشي. وكان الحيوان الوحيد الذي يقابل بالترحاب. وكان يبدو أنه ذو طبيعة اجتماعية، فقد كان يتقرب إليها في أدب وهو يحفر الأرض، فترد عليه تحيته بهز ذنبها القذر.

بيد أن كن سان وغيره من أولئك الذين يعيشون في ضيعته، لم يرحبوا بها كما رحبوا ببوتشي. وصاح أحدهم (أليس من الخسارة الكبرى أن يكون الفرد قبيحاً حتى بين الحيوانات؟) فيرد آخر (لو كانت ذات مسحة من الجمال لاحتفظت بها!) بيد أن كل هذا لم يكن له معنى عندها.

ودعاها هؤلاء الناس (بب). وكانت لكل دار (عمة): لقب يضفى على ربة الدار. وكانت العمات والأولاد يشتركن في كراهيتهم لها ويصرخون فيها. أما الأعمام فقد كانوا فظعاء. إن أقل إهمال أو انتباه تجعلها طريدتهم. وكثيراً ما ألقوا عليها الأحجار وكرات الطين وأسياخ المدفأة. وفي ذات يوم أصابها مقبض باب، فسبب لها جرحاً في إحدى مؤخرتيها.

وشيئاً فشيئاً، أخذت تفهم العقلية البشرية: معنى زم الفم، والقيام بالتقاط شيء، وهز الأكتاف، وعض الشفاه.

كانت كل هذه الانفعالات الثائرة ضدها، قد بينت لها مدى كراهية مطارديها. وكادت في ذات يوم أن تساق لتغرق في الخليج. ولا يستطيع أحد أن يعرف كيف وجدت سبيلها إلى الهرب! كان الناس يصيحون (استحضروا الحبل. الحبل!) وكانت يائسة، فجعلت تعدو خلال الحديقة، بين الشجيرات. وذهبت صوب الفرن ثم استدارت حول مخزن الغلال، وأخيراً فرت إلى الحقول حيث تنمو الزهور التي تباع في الأعياد.

وصاح أحد الأعمام: (لقد فرَّت أخيراً!) فرد كن سان وهو يضحك ضحكة رجل طيب (أليست شيئاً متعباً؟)

وتكررت مثل هذه التجربة القاسية. ولكنها لم تكن بالتي تقهر من مثل هذه الأعمال. ينبغي لها أن تبحث عن طعامها في هدوء وفي مظهر من يقول (إن هذه أرضي). وكانت تتقدم إلى المطبخ الجديد في شجاعة، أو تذهب إلى الشرفة بأقدامها القذرة، فتمزق الستائر، وتلهو بما تغسله العمات من ملبوسات وتلطخها بالطمي والغبار. ولم يكن لها اعتبار عند الأطفال. كان لهذه العائلة فتاة تدعى شوكان. وكانت تميل إلى اللعب في الفناء، فكانت الكلبة تطاردها مداعبة. وكانت الفتاة أحياناً ما تستحضر معها

قطعة من الكعك، وتظهرها لها قائلة: (انظري! انظري يا بب!)

وسرعان ما تقفز على كوشان، فيتعالى صراخ الفتاة (أوه، ما ما، إن بب شريرة!) وكانت هذه دائماً صرخة كوشان في طلب المعونة. فتقبل عندئذ العمات مسرعات وينادين كوشان: (اهربي يا كوشان! في سرعة!) فتفر الفتاة باكية ولم يبق معها شيء من الكعك. لقد أخذته الكلبة منها، وبذلك حصلت على الحلوى التي تأكلها الناس، وبعدما تنتهي من أكلها، تلعق طرف أنفها بلسانها الأحمر

ومهما يكن من الأمر، فقد كانت لا تتعمد ما تقوم به من حركات، طيبة كانت أو شريرة. وكانت هذه الكلمات التي تسمعها من أفواه الأعمام والعمات لا تفهم لها معنى. فلم يكن لها طبيعة فهم تقاليد الناس المتمدينين وأحوالهم، لم تكن سوى كلبة سواء أكانت أفعالها مؤدبة أو خالية من الأدب. إنها حيوان مسكين يعمل كما توحي إليه طبيعته.

ومر الشتاء القارس البائس، ولم تزل تتألم من هذه المعاملة، معاملة طردها، وكان من العجيب ألا تموت جوعاً في ذلك الشتاء لقد كانت المخلوقات البشرية في حالة محزنة، فكيف إذا يستغنون عن حفنات من أرزهم البارد

لهذا الحيوان الجاهل، تلك الكلبة المتعبة التي لا تنفع في شيء؟ وكانت تهيم في الأماكن النائية، فتتبلغ بما تجده من أشياء، حتى قشور البرتقال.

ثم أقبل الربيع، وأخذ الجليد في الذوبان، وبدت الكلبة كأنما نما عودها، وكانت كل الكلاب تتجمع حولها: بوتشي الذي يقطن دار كن سو، كورو الذي يعيش بدار الاستحمام، وآكا الذي يحرس مسكن تاجر الخشب، وذلك الكلب الضخم الذي يخض الجيران. وكان يتبعها ثلاثة أو أربعة منها أينما ذهبت وكان الموضع المريح في ظلال الشجرة الكائنة بالفناء مرتعاً لصدى هريرها وكأنها تود أن تهمس إليها بكلمات الغزل.

ولاحظت ذلك المشهد عمة مقبلة نحو البئر الجانبية، وقد حملت معها دلواً، فقالت: (يا إلهي إن بب كلبة أنثى! إني لم ألاحظ ذلك من قبل!

فردَّت عمة من الدَّار الجديدة شاهدت أيضاً ما يحدث (ولا أنا).

وضحكت العمتان وجعلتا تنظران إلى ذلك المشهد في اهتمام.

(يجب أن تنفى). كان هذا منشأ الجدال الذي استمر في ضيعة كن سان بين أعضاء عائلتين من العائلات الأربع. ثم انقسموا إلى حزبين: حزب الأعمام، وحزب العمات. كانت العمات يصرحن أن الأمر قد أصبح مختلفاً. أن حالتها الآن مغايرة لما كانت عليه في الماضي. وكن في جدلهن كأنما يقارن أنفسهن بها (وقد يكون هناك وجه للمقارنة). وكان الأعمام يعارضون في إنجابها ذرية. أنه من الفظاعة أن تلد أولاداً على شاكلتها. وفي الحق، لم يكن هناك من يهتم بمستقبلها. ولم تكن الكلبة تعرف شيئاً عن كل ذلك.

وما إن مر يوم حتى وقفت مركبة بجوار دار كن سان، يعلوها صندوق بلا غطاء، مغطى بقطعة قذرة من الحصير. وتشمم أنفها في سرعة ما الذي في المركبة.

وأقبل شرطي يتبعه رجل ذو نظرات مريبة. ودلفا إلى الدار. بيد أنها لم تكن تحوم في مثل هذه الأماكن الخطرة. وأخذ بوتشي وكورو وغيرهما من الكلاب في النباح. وأقبل الأعمام والعمات وكل سكان القرية. وصاحت كوشان (صياد الكلاب يا ما ما!) ثم اختبأت خلف والدتها.

وجرى الناس حول الحديقة. وشاركهم في العدو صبي من مدرسة متوسطة كان يرسم صورة بالألوان المائية، وقد

أمسك بحامل الرسم، وابنة كن سان وكانت تقوم بري الزهور.

(لقد هربت من هنا! لقد ولت من هناك!).

وارتبك القوم في عجب. ثم قالت كوشان وهي ترجف (من المؤكد أن بب قد قتلت).

وأخيراً استطاعت الهرب. وهز رجل ممسك في يده هراوة غليظة في غيظ. وقال الشرطي (لا فائدة، لا فائدة) وضحك وهو يسير صوب الباب. ثم انسحب هو ورفيقه إلى المركبة الفارغة يجران وراءهما ذيول الخيبة.

لقد هربت على أية حال، ونجت بجلدها. ومرت الأيام وتضخمت بطنها، وأخذت عيناها تتلونان بلون غير ثابت من القلق. إنها لن تحافظ على نفسها فحسب، بل يجب عليها أيضاً أن تحمي أولادها في بطنها. إن ظلال الشجرة لم تعد مأمونة، وحتى عندما كانت ترقد على الأرض الندية، وهي تلهث مما اعتراها من ألم. سرعان ما كانت تهب واقفة عندما تشاهد خيال إنسان ما، يجب ألاّ تتهاون ولو لحظة واحدة، وكان يلوح في عينيها أنه ليس هناك من أشد قسوة وأقل رحمة من الكائن البشري.

بيد أنه على الرغم من خوفها، كانت لا تستطيع الابتعاد عن الدار. وقد يبدو في عين الرائي، أنها قد تكون في راحة تامة، كغيرها من الحيوانات، لو ذهبت إلى الغابة النائية، ورقدت هناك بين الأشجار والحشائش! ولكن ذلك لم يبد في عينيها، إنها لا تستطيع أن تغير من طبيعتها الموروثة

وفي أوائل شهر يونيو، انتهت من القيام بواجبات الأمومة وظهرت أربعة جراء في فرن كن سان، اثنان منها جميلان يشبهان بوتشي في لونه، وواحد أسود فاحم، والرابع يشبهها كثيراً.

وفي صباح يوم ولادتها، تراءت لها للمرة الأولى ابتسامة البشر تهش بها، وفي ذلك الصباح أيضاً قدموا إليها لأول مرة الطعام

وأخذت عمة كن سان تناديها (بب، تعالي، تعالي) ثم أصبحت تناديها دائماً منذ ذلك اليوم. . .

ليلة في الصرب
بلاسكو أبانيز

الساعة الحادية عشر ليلاً، تلك الساعة التي يغلق فيها مسرح باريس أبوابه. وقد أخليت المقاهي والمطاعم من روادها قبل ذلك بنصف ساعة.

وعلى إفريز الشارع، وقفنا زمرة حائرين. كانت جموع الناس تخرج من أماكن اللهو فتختفي في ظلمات الشارع، والمصابيح ترسل ضوءاً خافتاً سرعان ما يمتصه الظلام، والسماء الحالكة تجذب إليها الأنظار بتلألؤ أضوائها، فيتطلع إليها الناس في نظرات من اقلق. فقد كان ذلك الامتداد الفجائي للنور الكاشف أحياناً ما يكشف عن منطاد، تغمره الأشعة فيبدو كالسيجار المتوهج.

وشعرنا بالرغم في الاسترسال في سهرتنا. ترى أين نذهب وقد أغلقت باريس المكتئبة كل أبوابها؟. . . وحدثنا أحد الصربيين عن مطعم لفندق معين، مفتوح الأبواب طول الليل، يستقبل رواده من الضباط، فيدلفون غليه خلسة وكأنهم من أصحابه. وكان يتردد عليه سراً إخوان في

السلاح من مختلف الأمم، قد قدموا إلى باريس لقضاء بضعة أيام فيها. وقصدناه، ودلفنا إلى قاعة استقباله في احتراس، فشعرنا بالفارق الهائل بين أنواره الباهرة وظلام الليل المداهم. كانت القاعة أشبه ما تكون منار كبير، وقد أنعكس من مراياها عناقيد الثريات الكهربائية، فخيل إلينا أننا ارتددنا بأعمارنا عدة سنوات. النساء بزيناتهن، والشمبانيا، وتنهدات القيثارة، وزنجي يرقص وقد ارتعشت أجزاء جسمه في الحرارة - كان كل ذلك من مشاهد عهد ما قبل الحرب. بيد أنه لم يكن هناك من الرجال من يرتدي لباس السهرة.

وكان الجميع من فرنسيين وبلجيكيين وإنجليز وروسيين وصربيين - مرتدين حللهم الرسمية الرثة، وقد علاها الغبار. وكان بعض الجنود الإنجليز يعزفون على القيثارة، فيصفق لهم القوم في ابتسامات باردة كالرخام، وقد جلسوا مكان فرقة الغجر الموسيقية.

وأومأت السيدات إلى جندي منهم يهمس باسم والده اللورد - صاحب الملايين الشهير، وهو ينشد قائلاً (دعونا نبتهج إيه الأخوان، فغداً نموت).

كان كل هؤلاء الرجال الذين قربوا حياتهم لمذبح آلهة الحرب، يشربون العرق في جرعات كبيرة، ويضحكون،

وينشدون، ويلقون بتحياتهم في حماس إلى أولئك الملاحين المغامرين الذين كانوا يقضون الليل على الشاطئ، ثم يعودون في صباح اليوم التالي لمجابهة العاصفة بشجاعة.

ولاح على الضابطين الصربيين المرفقين لنا، دلائل الرضا. فقد زج بهما وطنهما إلى باريس، مدينة الأحلام، تلك التي ظالما ملأت أفكارهما أثناء إقامتهما المملة بمعسكر في بلدة ريفية. وكان كل منهم يعرف كيف يسرد قصته. موهبة عادية في بلد يكاد يكون كل من فيه شاعراً. فعندما مر لامرتين بالمقاطعة التركية بالصرب وقتئذ منذ حوالي قرن، عجب لما للشعر من أهمية في تلك المقاطعة: مقاطعة الرعاة والمحاربين. وكانت الأفكار والذكريات تنظم شعراً في الأرض قلّ أن تجد فيها من يقرأ ويكتب. لقد مد المؤرخون الوطنيون من أجل الإلياذة الصربية، بما نظم من أناشيد جديدة.

ونذكر الضابطان وهما يحتسبان الشمبانيا، بؤس أيام تراجعهما منذ أشهر مضت: الكفاح ضد الجوع والبرد، والمعارك التي دارت على الجليد، واحد ضد عشرة، وفرار الناس والحيوانات في ارتباك مفزع، والمدافع الرشاشة والبنادق تنطلق دون انقطاع إلى مؤخرة الطابور، والقرى المحترق، والجرحى، والمشردون يئنون وسط اللهيب، والنساء

المشوهات ولقد حامت حولهن الغربان، وفرار الملك بطرس العجوز، الكسيح من مرض الروماتزم، دون أن يكون له معين سوى عصاه الخشبية، وقد أخذ هو ومن معه من حاشيته يتسلقون الجبال، محني القامة، صامتاً، يتحدى القدر وكأنه أحد ملوك شكسبير.

وراقبت الضابطين الصربيين وهما يتحدثان. كان كلاهما في غضارة الصبا، قوياً ممشوق القمة، ذا أنف اقني كأنه منقار النسر، وشارب مدبب الطرف، وقد انفلتت خصلات الشعر من تحت قبعتيهما الصغيرتين. وارتدى كلاهما حلة في لون الخردل، ولاح عليهما الهدوء الذي يضفي على الشجعان الدائبين على نفض الموت من فوق أكتافهم.

واسترسلا في الحديث: تكلما عما حدث منذ شهور قلائل، وكأنهما يتحدثان عن مغامرات ماركو كرايلوفتش (السيد) الصربي الذي تسلح بأفعى كأنها الحربة، ليحارب بها شاربي الدماء بالغابات، ومال يهما الحديث إلى ذكريات طفولتهما القاسية.

ثم قام صديقنا الفرنسي، وأستأذن ورحل، وكان أحد الضابطين يقطع استماعه إلى الحديث بالتطلع إلى مائدة جانبية. كانت ترنو غليه عينان حالكتان، تعلوهما قبعة من

الريش الحرير الأبيض، ولا شك أنهما استرعتا ناظريه، فقد هب واقفاً كأنما أنجذب بدافع لا يقاوم، وسارة صوب تلك المائدة وإن هي إلا لحظات حتى اختفى، واختفت معه القبعة الحريرية.

وتركت وحيداً مع الضابط الآخر، وكان أصغر من رفيقه سناً وأقل منه حديثاً. وأرتشف رشفة من قدحه وهو يتطلع إلى الساعة الموضوعة على المقصف. ثم أرتشف رشفة أخرى؛ وأخيراً نظر إليّ تلك النظرة التي تسبق دائماً الإفضاء بسر خطير. وأدركت حاجته إلى الإدلاء إلي بحادث مؤلم يعذب ذاكرته ونظر إلى الساعة مرة أخرى: كانت الواحدة صباحاً.

وعلى حين غرة، أخذ يصيغ حديث الصامت في كلمات، قال - حدث ذلك في هذا الوقت، منذ أربعة أشهر. . .

وأخذ يتابع حديثه، وأنا أتخيل معه الليل الحالك، والجليد الذي يغمر الوادي، والجبال الناصعة البياض المغطاة بأشجار الزان والصنوبر، وقد هزة الريح إفنائها فتساقطت منها ذرات البرد الأبيض. ورأيت أطلال قرية، ترابط فيها فرقة صربية، آخذة في التراجع صوب البحر الأدرياتيكي.

كان صديقي يقود مؤخرة هذا الحرس، كتلة من الرجال، محلة أصبحت قطيعاً من الرعاع. يرافقهم أهل القرى في

ذهول من الألم والخوف، فيتحر كون بلا إرادة كالآلات، وينساقون إلى الأمام كالحيوانات، وكانت النساء، الداكنات، المشوقات، القويات، يسرن في صمت فاجع، وينحنين على الأموات أثناء مرورهن فينزعن منهم بنادقهم وذخيرتهم.

وبدا الظلام متوهجاً بضوء أحمر متلألئ من القنابل المتطايرة بين الأطلال. فاستجاب إليها أعماق الليل وأقبلت معه التوهجات القاتلة، وأز في الظلام الدامس الرصاص: حيوانات الليل الخفية.

كان كلما أتى الصباح، يبدأ الهجوم، وكانوا يجهلون عدد من هناك، أولئك الذين يصطفون ضدهم في الظلام. أهم ألمان؟ نمسيون؟ بلغاريون؟ أمأتراك؟. لقد فرض عليهم أن يجلبوا الكثيرين منهم.

وأسترسل الصربي في الحديث قال: (كان لا مناص لنا من التراجع، مخلفين وراءنا أولئك الذين يعوقون تقهقرنا. وكان لزاماً علينا أن تصل إلى الجبال قبل أن يتنفس أصبح).

وكان الطابور الطويل من النساء والأطفال والكهول وما أختلط بهم من قطيع الحيوانات قد أبتلعهم الليل، ولم يبقى في القرية سوى الرجال القادرين، يحاربون من مخابئهم بين الأطلال وقد أخذ جزء منهم فعلاً في التقهقر.

وبغتة، انتابت الضابط ذكرى قاسية.

الجرحى ما الذي تفعله بهم؟ كان أكثر من خمسين رجلاً ممددين على القش في حظيرة مزقت القنابل سقفها. رجال يعانون آلاما مبرحة، رجال مذهولون، يتململون في نومهم ويئنون، جنود أصيبوا بجراحهم منذ أيام مضت، واستطاعوا أن يجروا أنفسهم جراً إلينا، وجنود أصيبوا في ذات الليلة يتبعهم سيل من الدم الجديد، وقد ضمدت جراحهم بضمادات مستعملة، ونساء أصبنا بشظايا القنابل). .

ودلف القائد إلى ذلك الملجأ الذي تفوح منه خبيث الروائح من الأجسام المتداعية، والدم الجاف، والملابس القذرة والأنفاس المتصاعدة، وعندما تفوه بأول كلماته، تحرك أولئك الذين لا تزال لديهم بقية من القوة، في تململ ومشقة تحت ضوء المصباح الوحيد المتعالي دخانه، وصمتت الإناث، صمتة الدهشة والرعب، كما لو أن هؤلاء الرجال المحتضرين يخشون شيئاً أكثر رهبة من الموت.

ولما سمعوا أنه لا مناص من تركهم تحت رحمة العدو، حاولوا النهوض جميعاً، ولكن تهالك معظمهم في إعياء. وأرتفع نشيد من التوسلات اليائسة، والصلوات الحارة،

صوب القائد وجنوده الذين كانوا بصحبته: (أيها الأخوان، لا تهجرونا، أيها الأخوان، بحق المسيح. . .).

وعندما وعت عقولهم في بطئ أنه لا مفر من تركهم، رضوا بمصيرهم في خضوع. ولكن. . . وقوعهم في أيدي الأعداء! وبقاؤهم تحت رحمة البلغاريين والأتراك، أعدائهم منذ قرون بعيدة! وأفصحت أعينهم بما لم تجرأ شفاههم على الإفصاح. أنه من اللعنة أن يؤخذ الصربي أسيراً. وأرتجف الكثيرون ممن شرفوا على الموت، عندما أدركوا أنهم على وشك فقد حريتهم. إن انتقام البلغاريين لأكثر خوفاً من الموت.

(أيها الأخوان، أيها الأخوان. . .).

وأدرك القائد رغباتهم المختفية في صيحاتهم، فنحى عينيه عنهم. وسألهم العديد من المرات (أتطلبون مني أن. .؟).

وحرك الكل رؤوسهم بالإيجاب. أنه إذا كان لا مفر من تركهم، فلا يليق به أن يغادر خلفه صربياً حياً. ألا يطلب هو نفس الطلب لو كان في مكانهم؟

وكانت قلة الذخيرة بسبب التقهقر قد جعلت الجنود يحتفظون برصاصهم في غيرة. وسل القائد حسامه. كان بعض الجنود قد بدأ في القيام بمهمته وقد أستعمل سلاح

بندقية في تردد وبلا دقة. طعنات طائشة بلا هدف، ودافق فياض من الدم. وجر كل الجرحى أنفسهم صوب القائد لينالوا شرف الموت من يديه، وقد جذبتهم رتبته ومهارته في الضرب.

وجعل يدفع نصل حسامه الممشوق في رقابهم، جاهداً أن يقطع شريان الحياة في ضربة واحدة.

وهكذا جعل القائد يصف المشهد المهول وكأنه مائل أمام عيني وأقبلوا زاحفين على أربع، وتجمعوا حول قدميه. وحاول في بادئ الأمر أن ينحي برأسه بعيداً حتى لا يرى ما الذي يفعله، وقد امتلأت. ولكن كان من جراء ذلك الضعف الذي أنتابه أن صار يطعن بلا دقة، مما أضطره إلى إعادة الطعنات وإطالة الآلام. فليهدأ إذا! بيد ثابتة، وقلب جامد!

(أيها الأخ خذني!.. خذني!).

وتجادلوا حول أسبقيتهم في الموت، كما لو كانوا يخشون الوقوع بين أيدي أعدائهم قبل أن تتم الضحية الأخوية. وتعلموا بالغريزة كيف يضعون أعناقهم الوضع المناسب. فكان كل واحد منهم يضع رأسه ويميل به على جانب واحد، حتى يكون العنق مشدوداً، والشريان متصلباً مهيئاً للطعنة القاتلة.

(أيها الأخ، خذني!).

وأنبثق دافق من الدم. وكان كل منهم يسقط فوق الجثث الأخرى، تلك التي (نضب) منها الدم وكأنه زق من النبيذ القاني.

وأخذ المطعم يخلوا من رواده. ومرت السيدات متكئات على الحلل الرسمية، وقد تضوع من ملابسهن عبير خفيف. وتنهدت قيثارة الإنجليزي آخر تنهداتها وسط عاصفة من الضحكات.

وكان الصربي قد أمسك سكيناً صغيراً، وجعل يطعن المائدة في حركة آلية. . . حركة رجل لم ينس. . ولن ينسى. . طعنات متتالية متواصلة. . .

المترونوم
اوغست درلث

عندما استلقت على الفراش، ولفها الظلام الخفي اللطيف بردائه، نضت شفتاها عن ابتسامة جمعت فيها كل ما تشعر به من الراحة بانتهاء الجنازة أخيراً دون أن يشك أحد في أنها والصبي لم يسقطا عرضاً في النهر، أو يخطر على بال أحد أنها كانت تستطيع أن تنقذ ابن زوجها لو أرادت. وهاهي ذي لا تزال تسمع كلماتهم (أوه، مسكينة السيدة فارل، ما أفظع ما تشعريه) تسمعها ترن خافته وعلى بعد سحيق، في ظلام الليل المدلهم.

إن ما شعرت به من تقريع الضمير عندما غاص الطفل في أليم واختفى تحت سطح الماء للمرة الأخيرة، وعندما رقدت على الشاطئ منهوكة القوى، قد تلاشى منذ زمن طويل. ولم تعد تفكر كيف ارتكبت ما ارتكبته - بل لقد أقنعت نفسها بأن ضفة النهر قد انهارت قضاء وقدراً، وتناست التربة المتداعية، والماء العميق، والتيار الجارف.

وتحرك زوجها في الحجرة المجاورة. أنه لم يشتبه في شيء لقد قال لها وقد لاحت على وجهه سمات الحزن (لم يبق لي الآن سواك) وما أصعب تلك الأيام القلائل الأولى التي مرت عليها. بيد أن اختفاء جيم نهائياً في غياهب القبر قد قلل الشكوك الطفيفة التي انتابتها.

ومع ذلك، كان من الصعب عليها تصور ما اقترفته. لابد أن منشأه نزوة طارئة. بيد أن نفورها من الصبي وحقدها عليه بسبب الشبه الذي بينه وبين والدته هو الذي دفعها إلى ذلك دفعا، وذلك المترونوم! الطفل له من العمر ثماني سنوات أن ينسى مثل هذه الأشياء الصبيانية. لو كان يعزف على البيانو لاختلاف الأمر. ولكنه وهو على هذه الحال، كلا، كلا - كان ذلك كثيراً عليها. أن أعصابها لم تعد تحتمله يوماً آخر. ثم عندما أخفت المترونوم. أثار غضبها بإنشاده تلك الأغنية الصغيرة السخيفة التي سمع والتردامروش يغنيها عند شرحه سيمفونية المترونوم لبتهوفن، في صباح أحد أيام الجمع ببرنامج الأطفال بالإذاعة. إن كلماتها، تلك الكلمات الصبيانية التي بعث بها بتهوفن إلى مخترع المترونوم، كانت تتردد في خاطرها، وترن في شكل مثير في أركان ذاكرتها

كيف حالك كيف حالك كيف حالك
يا عزيزي يا عزيزي السيد ملزو

أو ما أشبه ذلك، فإنها لم تكن واثقة من الكلمات، تلك التي تثابر على التردد في ذاكرتها منذ بدء عزف الجزء الثاني من السيموفنية، وتقرع كالمترونوم تك، تك، تك، بلا نهاية. ومهما يكن من شيء، فإن المترونوم والأغنية قد ركزا فيها شعور البغضاء نحو ابن زوجة فار الأولى.

وحاولت أن تنبذ الأغنية من ذاكرتها. وفجأة، أخذت تتساءل: ترى أين أخفت المترونوم؟ كان في الواقع لطيف الشكل حديث الطراز، ذا قاعدة فضية ثقيلة، وثقل صغير فوق بندول من الصلب ممتد إلى أعلى أمام اللوحة الفضية المنحنية. إنها لم تستلم لأولى نزواتها فتحطمه، فقد كانت تظن أنها ستصنع منه حلية جميلة بعد ما يرحل جيمي، ولو أنه كان يخص والدته. ثم فكرت في ما رجوت، لابد وأن تكون مسرورة لأنها بعثت بجيمي إليها.

ألا يجوز أنها وضعت المترونوم في أ؛ د أرفف خزانة ملابسها. ربما. . . كان من الغريب عليها ألا تذكر شيئاً. ورقدت تفكر فيه. كم يكون جذاباً عندما تضعه على البيانو الكبير، حلية فريدة قائمة عليه، فضة تضارب سواد البيانو.

وعلى حين غرة، اقتحم صوت المترونوم تفكيرها. ما أغرب ذلك! إنها تسمع دقاته الآن في الوقت الذي تتمثله في خاطرها! وبدا الصوت في غاية الوضوح. تك - تك، تك - تك - تك - تك -. وحاولت دون جدوى التأكد من مصدرها. كان يبدو أنه يزداد دويا وضجيجا ثم يتلاشى. وكان ذلك غريباً عليها. وفكرت، أنه لم يسبق لها أن سمعته كما تسمعه الآن، حتى في الوقت الذي كان جيمي يمزح معها فيسمعها دقاته. وجعلت تصغي في انتباه.

وفجأة، خطر لها ما بعث القشعريرة في جسدها، وكنم أنفاسها لحظة، ألم تخبئ المترونوم بعد أن أعطاه لها جيمي لتملأه اجل إنها فعلت ذلك. ما لم تكن قد خانتها ذاكرتها إذاً، أنه لا يستطيع أن يدق الآن، لأنه فارغ، لم يملأ بعد. وسرعان ما تساءلت: ألا يكون أر نولد قد وجده وملأه على سبيل المزاح، ثم جعله يتحرك في هذا الوقت؟ وألقت بنظرة على ساعة معصمها. كان الوقت قد قارب الوحدة. أنها لا تعتقد أن أر نولد قادر على مثل هذا المزاح، فهو لابد مخبرها عن وجوده فيقول لها (انظري. لقد ظننت أنك أخبرتني بأن جيمي قد فقده. وهاأنذا قد عثرت عليه فوق أحد أرففك. ومن غير المحتمل أن يكون قد وضع هناك من تلقاء نفسه)

وعاد إليها تفكيرها في أنها قد خبأته في مكان بعيداً عن متناول يد جيمي. ثم أصغت: تك - تك - تك - تك - تك - تك. وحدثت نفسها قائلة:

أسمعه أر نولد؟ إن ذلك بعيد الاحتمال، فهو دائماً ثقيل النوم.

وترددت هنيهة قبل أن تقوم وتبحث عن مصباحها الكهربائي في الظلام. ثم توجهت إلى خزانة ملابسها وفتحت الباب، ومدت يدها الممسكة بالمصباح تخترق الظلام الدامس، ثم أصغت. كلا، لم يكن المترونوم هناك. ومع ذلك، لم تتمالك من جذب صندوق القبعات جانباً حتى تتأكد. فطالما أخفت بعض الأشياء هناك. وأخيراً انسحبت من الخزانة ووقفت مستندة على بابها المغلق، وقطبت بين حاجبيها في غضب: يا الهي! أكتب عليها أن تسمع هذه الدقات الجهنمية حتى بعد موت جيمي؟ وتحركت في عزم صوب باب حجرتها. وفجأة صدم عقلها صوت جديد. هنالك شخص يسير على بعد من الباب في ناحية ما، يمشي في خطى خفيفة خافتة.

بطبيعة الحال، كان تفكيرها منصباً بادئ ذي بدء على أرنولد، وفي الوقت الذي انبعث فيه تفكيرها سمعت صرير

فراش زوجها. وودت لو اعتقدت أن الخادم أو الطاهية قد عادت إلى الدار لسبب ما. ولكنها لم تهضم هذه الفكرة السخيفة في عودة أحدهما إلى الدار في ذلك الوقت المتأخر من الليل ولو لأي سبب. وليس من المعقول أن يكون قد اقتحم الدار لصوص.

وترددت في وضع يدها على مقبض الباب. وأخيراً فتحته شبه غاضبة وتطلعت إلى البهو، وقد أمسكت بمصباحها وصوبته. لم يكن هناك أحد. ومع ذلك؛ ودت لو رأت أحداً هناك. ما أسخف تفكيرها! وتملكتها ثورة جامحة. وفي نفس اللحظة سمعت وقع الأقدام مره أخرى، خفيفة بعيدة، تبدو خافته الصوت من أسفل الدرج. وكانت دقات المترونوم قد أصبحت أكثر تردداً ودويا حتى أنها خشيت أن يستيقظ أرنولد بسببها. ثم أقبل صوت غمر كيانها برعب بارد، صوت صبي ينشد من مكان ناء:

كيف حالك كيف حالك كيف حالك

يا عزيزي يا عزيزي السيد ملزو

وتهالكت متكئة على مصارعي الباب ثم تشبثت به بذراعها الخالية، وكاد عقلها أن يعصف بها ولكن سرعان ما خفت الصوت وتلاشى، وظلت دقات المترونوم تتعالى. ومع

ذلك شعرت ببعض الراحة عندما استمعت إلى صوته يطغى على أي صوت آخر ووقفت بعض لحظات تشد أزر نفسها. ثم شددت قبضتها على المصباح، وسارت في بطء على طول الرواق. وعندما اقتربت من قمة الدرج أحاطت أنبوبة الضوء الصغيرة للمصباح بيدها الأخرى حتى لا يراها من يكون هناك تحت. ونزلت الدرج في حذر خشية أن يصر فيكشف وجودها.

لم يكن هناك أحد بالبهو، بيد أنها سمعت صوتاً مقبلاً من المكتبة. ودفعت الباب في هدوء فانفتح، إذا بدقات المترونوم تبعث وتكتنفها وتغمرها. ولم تستطيع أن تميز ما في الحجرة إلا بعد أن تقدمت بضع خطوات. وإذا بعينيها تلتقيان بشبح صغير مبهم جاثم بجوار الحائط أمامها. ثم أخذ ذلك الشيء يحوم ويحدق في الرياش ويتطلع إلى أرفف الكتب. واستمعت إلى حركة يدين خفيتين تعبثان في الأركان - أنه جيمي يبحث عن مترونومه.

وظلت دون حراك وقد تهدجت أنفاسها رعباً من رؤية جيمي الميت، جيمي الذي شاهدته يدفن في ذلك الصباح. ولم ينحها عن السقوط في حالة من الإغماء سوى قوة إرادتها.

وأقبل طيف الطفل. أقبل صوبها؛ ثم مر خلالها؛ يبحث، وينقب، في كل ركن يحتمل أن يكون المترونوم مختبئاً فيه وظل يدور حولها. وفي مجهود فائق وجدت صوتها، فهمست في صوت أجش: اذهب، أواه، اذهب بيد أن. الطفل لم يبد أن سمع كلماتها، فقد ظل يوالي بحثه ويطوف في نفس الأنحاء التي كان قد طرقها من قبل عدة مرات. كانت الدقات اللحوحة للمترونوم لا تزال ترتفع وكأنها طرقات المطرقة تتجاوب في أرجاء الحجرة وانزلقت يدها في عصبة مبتعدة عن أنبوبة للضوء عندما مر الطفل بجوارها فشاهدت وجهه، وعينيه تفيضان شرا، وقد فارقتها وداعتهما السابقة، وفمه الغاضب ويديه المنقبضتين.

وفي رعب جارف، استدارت لتفر منه، بيد أن الباب استعصى عليها فتحه، وبعد ثلاث محاولات فاشلة، جعلت تبحث عن شيء يساعدها على فتحه. كان الطفل بجوارها وقد أرتكن بيده في خفة على الباب. وكانت لمسته كافية لجعله لا ينفتح، ثم حاولت مرة أخرى، وتحرك المقبض في يدها كما تحرك من قبل دون أن ينفتح الباب. وكان الطفل لا يزال واقفاً هناك أمامها، ثم حاولت فتح النافذة، فدفعت قفلها بيدها الخالية فلم يتحرك، وشعرت، حتى قبل أن تنظر،

أن يد الطفل مستقرة على النافذة يداً شفافة ذات بياض شاحب وقد انحنت قليلاً على زجاج النافذة.

ووجدت نفس النتيجة في نافذة الحجرة الأخرى. وعندما حاولت أن ترفع يدها لتكسر الزجاج لاحظت أن الطفل قد وقف أمامها، فلم تستطيع يدها اختراق الهواء إلى الزجاج وأخيراً استدارت وانسحبت إلى الركن المظلم الواقع خلف البيانو وهي تعول في رعب وفي لحظة كان الطفل بجوارها. وشعرت به يشيع برداً قارساً مخيفاً اخترق ردائها الليل الرفيع.

وأجهشت بالبكاء وهي تقول اذهب، اذهب، ثم شعرت بوجه الطفل يقترب من وجهها، وبعينيه تبحثان عن عينيها، وتتهمانها وبأصابعه الخفية تمتد

لتلمسها. وفي صرخة متوحشة من الرعب انتقلت منه هاربة، وحاولت مرة أخرى فتح الباب إلا أن الطفل كان هناك قبل أن تضع يدها على المقبض. وعرفت دون أن تحركه أن محاولاتها ذاهبة أدراج الرياح. ثم حاولت أن تشعل النور، بيد أنها شعرت بنفس المؤثر الذي منعها من اغتصاب النافذة. ومرة أخرى أخذت تبحث عن ركن مظلم أمين.

ولكن الطفل عثر عليها واقترب منها كحيوان يبحث عن الدفء.

وفجأة، انهارت قواها العقلية وتهاوت؛ وشعرت بخوف جارف يغزو عقلها. وأخذت تضرب على الجدران المحيطة بها بقبضتي يديها. ثم وجدت صوتها؛ فصرخت لتتحرر من الرعب الشرير الذي سيطر عليها.

وكان آخر ما شعرت بن أن الطفل يجذبها من وسطها بيديه الخفيتين، ثم سقطت متهالكة بجوار الحائط. وصدمها شيء صدمة قوية في جبهتها. وفي نفس اللحظة كان جسم الطفل اللين ينضغط على وجهها. ثم شملها الظلام.

وفي صباح اليوم التالي وجد أرنولد فار زوجته راقدة بجوار الحائط على مقربة من البيانو الكبير. فركع بجوارها. ودلته خبرته الكافية في الطب أن زوجته قد اختنقت من شيء رطب، فقد كانت الرطوبة تشمل ملامحها. ولم يفهم سر لرائحة النهر القوية التي كانت تفوح في الحجرة، ثم تطلع إلى فوق فشاهد صورة زيتية كبيرة معلقة فوق الجثة، ولم تكن بالطبع هي التي أحدثت ذلك الجرح في جبهتها.

وعلى حين غرة، شاهد ما جرح زوجه عند سقوطه من خلف الصورة حيث كان مختبئاً، كان المترونوم.

حماري الأسود الصغير
يادرباك اوكنير

حدث ذلك في كنفارا عندما تعرفت على حماري الأسود الصغير. كان ذلك اليوم يوم السوق. فرأيته واقفا بجوار حاجز لا يبالي بالعالم، ويبالي العالم به. وأعجبت به منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناي عليه. وكنت في رغبة للحصول على حمار. فقد كنت متبرما من التجول على قدمي. ألا يكفي هذا الرفيق الصغير ليحملني وحقيبتي وحاجاتي؟ وفكرت: لعلي أستطيع الحصول عليه بثمن بخس.

ثم سألت عن صاحبه: بيد أني نقبت عنه في كافة أرجاء البلدة قبل أن أجده يتسكع أمام دار العمدة. كيف! يبيع الحمار؟، ولماذا لا يبيعه مادام أنه سيحصل على ثمنه؟ نعم ثمنه إنه لا يرغب في قرش زائد عن ثمنه. لولا هذه الأيام العجاف ما فارقه عنه مطلقا - لا لا خوف منه؟ إنه حمار صغير جميل يستطيع أن يقطع في سهولة عشرين ميلا

يوميا. لو استطاع أن يطعمه الشوفان مرة واحدة في الشهر، فلن يفوقه أي جواد!

وجعلنا نتباحث في طباع الحيوان. وما أبرع مدح صاحبه! ليس هنا حمار، منذ أن حلت الحمير بأيرلندا، في مثل نشاط هذا الحمار، وعقله وبعد نظره!

وقال لي ذلك الأستاذ - في المديح (أتعرف عاداته؟ إذا أعطيته حفنة من الحبوب صباحا، فإنه يحتفظ ببعضها عندما لا تكون هناك حبوب - بحق كتب روما السماوية أنه يفعل ذلك) وهنا ضحك أحد الموجودين، فواجهه الرجل قائلا (ما الذي يضحكك أيها الأبله؟) ثم قال لي (أليس من العقل أن يحتفظ بجزء من طعامه؟ ألم يحدث لي في بعض الأحيان أن أكون في حالة عسر فأسطو على طعامه؟ لو لم يكن هذا الحيوان لمت جوعا أنا وأولادي الإثنا عشر)

وسألت في حذر: هل في استطاعة هذا الحمار العاقل أن يميز بين حنطة صاحبه وحنطة جيرانه. فأجاب الرجل (إنه أمين أمانة الكاهن. لو كانت كل الحيوانات مثله، لما كانت هناك حاجة إلى تشييد حواجز أو حفرات أو أسوار. لم تكن هناك حاجة إلى مثل ذلك مطلقا.)

وتكاثر حولنا جمع غفير، وكان من بينهم أولاد الرجل، ولا أدري أكانوا ألاثنى عشر جميعا موجودين. بيد أن من كان موجودا منهم لا تجد له مثيلا في أية بقعة من بقاع أيرلندا. كانوا مهللي الثياب قذرين كل واحد منهم يفوق أخاه في سوء السلوك. وكانت زوجته واقفة هناك. عارية القدم، بلا قبعة.

وقالت له (أتذكر يابيتر اليوم الذي سبح فيه في النهر وأنقذ ميكلين عندما جرفه التيار؟)

فأجاب (وكيف لا أذكره؟ نعم ياشابي، أتذكرين اليوم الذي دفع لي فيه مبلغ خمسة جنيهات؟) فالتفتت إلي قائلة (خمسة جنيهات. نعم لقد وضعوا في يده خمسة جنيهات ذهبية) فقاطعها الرجل قائلا (أقسم لك هذا ما حدث! لقد كادت الصفقة تتم، وكانت النقود في يدي -).

فقاطعته زوجته بدورها (ولكنه عندما شاهد الحمار المسكين يذرف الدمع لأنه سيفترق عنه، لم يطاوعه قلبه على بيعه، والابتعاد عنه) فصاح زوجها (صه! تكلمي في هدوء. فلا توجد كلمة تقال إلا وفهمها. ألا ترى يا سيدي أذنيه الواقفتين؟)

وبدأت الشراء بجنيه واحد ثمنا لهذا الحيوان البديع. فعوى الرجل قائلا (جنيه!) وصرخت امرأته (جنيه!) وهدر الأولاد في صوت واحد (جنيه!).

كم كانت دهشتهم! وتجمعوا حولي يتفحصونني. وأمسك صبي بسترتي وآخر بسروالي امسكني أصغرهم من عنقي. ووضعت فتاة يدها في جيب سترتي. كانت المخلوقة بطبيعة الحال تحاول أن تبحث إذا كنت حقا أمتلك جنيها - بيد أنها حصلت على ضربة على أذنها بدلا من الجنيه - ولم تكن الضربة من والدها.

كنت قد أعجبت بالحمار إعجابا شديدا. فقد كان وفق ما أشتهي. إنه سيحملني في طريقي. ثم أستطيع بيعه في أي وقت إذا ما شعرت بالضجر منه.

وقلت مرة أخرى (جنيه).

فأجاب الرجل (جنيهان).

وأعولت المرأة وهي تقول (أواه! أواه! حماري الجميل يباع بجنيهين) وانفجرت تنشج في بكاء وعويل.

وألححت قائلا (جنيه).

فقال الرجل (إذن جنيه - وست بنسات لكل طفل).

وتمت الصفقة أخيرا. وناولته الجنيه. وأعطيت ست بنسات لكل طفل من أطفاله المصطفين حولي. وجعلت المرأة تستدعيهم سيتين، ندين، تايمين، وغيرهم ممن لا أذكرهم.

ولم يبق واحد من المتسولين لم يستحضر أولاده. كانوا جميعا يهددون ويصرخون. وكم من الضوضاء أثاروا! اشتكى أحدهم أنه لم يستلم البنسات الستة مع أن النقود كانت في هذه الآونة تحت لسانه. وقال آخر -

ولكن لم يكن أحد يعي ما الذي يقوله الآخر، أو ما يحاول أن يقوله. فقد كان ضجيجهم يطغي على كل شيء.

وندمت لأني لم أدفع للرجل جنيهين في بادئ الأمر، وبذلك كنت أجتنب هؤلاء الحاضرين الذين كونوا عائلة لا نهاية لها.

وأخيرا تركت القرية وحالي حال. كنت ممتطيا الحمار، وقد سار على يمينه صاحبه قابضا على مقوده، ومشت زوجته على يساره، والأولاد يصخبون حولنا.

وتبعنا بعض صبية القرية، كل منهم يزودني بنصائحه. أن الحمار لا يقارنه أسرع جياد السبق، ولذلك يجب أن أكون متيقضا وإلا أفلت مني واختفى إلى الأبد. يجب أن أعطية كذا وكذا من أنواع الطعام. وهكذا كان يخيل للرائي

كأنما لم يسبق له أن رأى ما يضحك عليه، إلى أن شاهدني ممتطيا حماري الأسود الصغير.

ولكن لماذا أهتم؟ ألم أحصل على الحمار - الحيوان الذي كنت أود الحصول عليه منذأيام عديدة؟ كيف أستطيع أن أصف مشهد افتراقي والحمار عن هذه الشرذمة. كان كل واحد منهم يشد على يدي تسع مرات. وأخذوا مني عهدا أن أكون لطيفا معه وشفيقا عليه. وان أهبه قبضة من القمح كلما استطعت وأعطيه حفنة من الشعير كل ليلة. وأقسمت لهم ألا أستعمل العصا معه. وعندما افترقنا أرتفع عويلهم بدأه الأب وساعدته الأم وشاركها الأولاد حتى أصبحت الغابة حولي تعج ببكائهم. . . وأخيرا أصبحت وحيدا - وحيدا مع حماري الأسود الصغير؟

ثم انطلق يعدو بي إلى أن خلفنا الغابة. وعندئذ شعرت بأني قد قمت بصفقة طيبة. أين يستطيع المرء أن يجد حمارا في مثل نشاط حماري الأسود الصغير؟

بيد أنه عندما ابتعدنا عن الغابة، حدثت قصة أخرى. إذ لم يقبل الحمار التحرك خطوة واحدة، ذلك الحمار الفريد! وظننت أنه قد يلين إذا ما دللته بعبارات متملقة، فلم يأبه

بي. وفكرت أن أحركه بعصا فلم يتحرك، بل وظل واقفا هناك وسط الطريق.

ومر علينا الناس الذين كانوا في السوق، أقبلوا في حال من البهجة. فنصحوني أن أفعل كذا، وأصنع كذا. بيد أنه عندما نصحني مازح منهم أن أضع الحمار على ظهري، فرغ صبري، وقذفت ذلك الوقح بالحجارة.

وأخيرا، اضطررت أن أترجل وأسحب الحمار في الطريق رغما عن أنفه. وما أكثر الشتائم التي أمطرتها على ذلك اللص الذي باعني هذا الوحش الثمين!

ولكن سرعان ما لاحظت ظاهرة غريبة. رأيت الحمار في حالة عصبية، وبدا لي أنه يجفل من تلاعب الريح بالأفنان. فعندما مر تحت أذرع الشجر النامي على جانبي الطريق، تلاشى كسده، وأصبح من المتعذر كبح زمامه، وقفت أذناه في بادئ الأمر، ثم هز نفسه كما يفعل الكلب عند ابتعاده عن الماء، ثم انطلق كأنه الزوبعة

يا لحظي، لقد كشفت سره.

وقيدته على باب كوخ ثم ذهبت إلى الغابة، وانتزعت كمية من الحشائش وأوراق الشجر، وكونت منها حزمة، ثم وضعتها على مقربة من عنقه، فوق أذنيه.

يا للحيوان المسكين! إنك لن ترى له مثيلا في سرعته لما عدا. فقد كان يظن، بسبب ما يسمعه من موسيقى منبعثة فوق أذنيه، أنه لا يزال في الغابة. وعندما وصلنا إلى باليفهان، قامت القرى لتشاهد الأعجوبة - أنا وحماري الصغير الأسود المتحلي بتاج من أوراق الشجر.

إني لا أزال أملك ذلك الحمار الأسود الصغير، وسأظل أحتفظ به مدى الحياة. لكم رحلنا أميالا طويلة في الطريق الموحشة، وفي مختلف الأجواء. وكان يهتدي إلى طريقه في مهارة، مع أن سيده للأسف قد فشل في ذلك. وإني أعتقد أن المتشرد الصغير كان يعرف أن سيده ليست له المقدرة على الاهتداء. ولكنك لن تشاهد مثل كبريائه عندما ابتعت له مركبة خضراء جميلة وعاد المخلوق المسكين أصغر سنا مما كان، منذ أن قيدته بالمركبة.

حب في الشتاء
أنطون تشيكوف

كان ذلك اليوم من أيام الشتاء المشرقة. . . والصقيع ينقصف في حدة، وقد كسا الجليد اللجيني خصلات شعر نادنكا المتهدلة على جبينها وحافة شفتها العليا.

وكانت ممسكة بذراعي ونحن واقفان على تل مرتفع، وقد امتد تحتنا المنحدر الأملس، تنعكس عليه أشعة الشمس كما لو أنه مرآة، وبجوارنا زاحفة مغطاة بقماش أحمر براق.

وقلت لها راجياً (فلننزلق يا نادبزدا بتروفنا! مرة واحدة فحسب! أؤكد لك أنك ستكونين بخير ولن تصابي بسوء).

بيد أن نادنكا ظلت مرتاعة، فقد كان يبدو لها المنحدر من موقع قدميها حتى سفح التل الثلجي وكأنه هوة مهولة عميقة الغور. وخانتها شجاعتها، وبهرت أنفاسها كلما حدقت إلى أسفل، في الوقت الذي كنت أقترح عليها مجرد ركوبها الزاحفة. إذن ماذا يكون حالها إذا ما جازفت بالاندفاع إلى الهاوية؟ فلعلها تهلك أو لربما تفقد وعيها.

وقلت (أرجوك! لا تخافي! إنها شجاعة واهنة منك! أنه خور وضعف!)

وأخيراً أذعنت دونكا. . ولاحظت من ملامحها أنها قد رضخت وهي في حالة من الخوف المميت. وأجلستها على الزاحفة شاحبة مرتجفة، وأحطتها بذراعي. ثم دفعت بي وبها إلى أسفل الهاوية.

واندفعت الزاحفة وكأنها القذيفة. ولطم الهواء وجهينا مزجراً، وهدر في آذاننا يتمزق حولنا، ويقرصنا غاضباً في قسوة، محاولاً أن ينتزع رأسينا من أكتافنا. وتعذر علينا التنفس من ضغط الريح.

كان يبدو كما لو أن الشيطان ذاته قد أمسكنا بمخالبه، يسحبنا إلى الجحيم في هدير. واستحال كل ما يحيط بنا خطاً واحداً متماسكاً ممتداً يسابقنا سباقاً هائلاً. . . وخيل إلينا في لحظة كما لو أننا في طريق الردى.

وهتفت قائلاً في همس (إني أحبك يا ناديا!)

ثم أخذت الزاحفة تقل سرعتها رويداً رويداً، ولم نعد نخشى هدير الريح. وسهل علينا التنفس. ثم إذا بنا في سفح الهضبة.

كانت نادنكا في حالة سيئة، شاحبة الوجه، تتنفس في صعوبة. . . وساعدتها على النهوض.

وأخيراً قالت وهي ترنو إلي بعينين واسعتين مفعمتين رعباً (ما من أحد في العالم يدفعني بعد ذلك إلى إعادة الكرة. لقد كدت أهلك!).

وإن هي إلا لحظة حتى استعادت رباطة جأشها، ثم تطلعت في عيني متسائلة، وقد لاح على محياها دلائل العجب: هل أنا تفوهت حقاً بهذه الكلمات الثلاث؟ أم كان ذلك وليد مخيلتها وسط زئير العاصفة؟ وكنت واقفاً بجوارها أدخن وأنا غارق في تأمل قفازي.

وأخذت بيدي، ثم قضينا وقتاً طويلاً نتجاذب أطراف الحديث على مقربة من التل الثلجي. وكان من الجلي أن اللغز لا يدع لها فترة للراحة. . . هل تفوهت بتلك الكلمات أو لم أتفوه؟. . . نعم أو لا؟. . . نعم أو لا؟ إنها مسألة كبرياء، شرف، حياة - إنها شيء ذو أهمية كبرى، أهم مسألة في العالم.

وظلت نادنكا تتأمل وجهي في حزن واضح، وتخترق نظراتها النفاذة ملامحي في صبر نافذ، وتجيب على أسئلتي كيفما تعن لها الإجابة. أواه، يا لها من مشاعر تتلاعب على

صفحة ذلك الوجه الجميل! شاهدت أنها تناضل مع نفسها، وتود أن تقضي بشيء، وتريد أن تسأل سؤالاً، دون أن تجد ما يسعفها من كلمات. تستشعر الارتباك والخوف والاضطراب...

وأخيراً قالت دون أن تنظر إلي (أتعرف ماذا؟)

قلت (ماذا؟)

قالت (دعنا ننزلق مرة أخرى!)

وتسلقنا الهضبة الثلجية وجلست نادنكا في الزاحفة شاحبة مرتجفة. ومرة أخرى اندفعنا شطر الهوة المخيفة. وزأرت الريح. ومرة أخرى همست والزاحفة تشق طريقها في سرعة مخيفة (إني أحبك يا ناديا!)

وعندما توقفت الزاحفة عن المسير ألقت نادنكا نظرة على الهضبة حيث انزلقنا، ثم حدجتني بنظرة طويلة، تستمع إلي وأنا أتكلم في هدوء وبرود، ويعرب كل جزء من جسمها الصغير، حتى الفراء التي كانت تغطي به يديها، حتى غطاء رأسها، عن منتهى الحيرة، وكأنما قد سطر على وجهها (ماذا يعني ذلك؟ من الذي تفوه بتلك الكلمات؟ أنطق بها هو أو أني تخيلت ذلك فحسب؟)

وأصبح الشك يضايقها ويقصيها عن كل صبر. ولم تعد الفتاة المسكينة تجيب على أسئلتي، بل صمتت في غضب وكأنها على وشك البكاء.

وأخيراً سألتها (أليس من المستحسن أن نعود إلى الدار؟)

فقالت في خفر (حسن. أنا. . . إني أحب هذه الرياضة. ألا تود أن ننزلق مرة أخرى؟)

إنها تحب (هذه الرياضة)! ومع ذلك، فعندما امتطت الزاحفة، أصبحت - كما كانت في المرتين السابقتين - شاحبة الوجه مرتجفة، تلهث رعباً.

وانحدرنا للمرة الثالثة. ولاحظت أنها تحدق في وجهي وتراقب شفتي. ولكني وضعت منديلي على فمي وسعلت. وعندما بلغنا منتصف الهضبة، نجحت في التفوه قائلاً (إني أحبك يا ناديا!)

وظل السر غامضاً! كانت نادنكا صامتة، تنعم النظر في. لا شيء. . وأوصلتها إلى دارها. كانت تسير الهويني، وتحاول أن تقصر من خطواتها، إلى أن تتحقق من أني تفوهت بهذه الكلمات. ولاحظت كيف كانت روحها تتعذب، وأي مجهود كانت تقوم به وهي تحدث نفسها قائلة (لا يمكن أن

تكون الريح قد تفوهت بهذه الكلمة! إني لا أود أن تكون هي السبب!)

وفي صباح اليوم التالي تسلمت رقعة منها تقول فيها (إذا كنت تود التريض اليوم، فاحضر إلي).

ومنذ ذلك الوقت أخذت أذهب يومياً للانزلاق مع نادنكا، وكلما نزلنا بالزاحفة أهمس قائلاً (إني أحبك يا ناديا)

وسرعان ما اعتادت نادنكا هذه العبارة كما يعتاد المرء الخمر والمخدر، وأصبحت لا تستطيع العيش بدونها. وفي الحق، كان الانزلاق من التل الثلجي يرعبها دائماً بيد أن الإحساس المخيف والشعور بالخطر قد ولدا لها سحراً غريباً من كلمات الحب - كلمات كانت لا تزال لغزاً يعذب روحها. وكنا - أنا والريح - لا زلنا موضع شكها. . فقد كانت تجهل من منا الذي يغازلها. بيد أنه كان يبدو الآن أنها لم تعد تأبه بذلك أو تهتم. فشارب الخمر لا يعبأ من أي دن يستسقى ما دام أن ما يحتسيه يشمله.

ولقد حدث ظهر يوم أن ذهبت وحيداً إلى أرض الانزلاق واختلطت بالموجودين، فشاهدت نادنكا تصعد الهضبة وتنظر باحثة عني. . وكان يبدو عليها الخوف من الذهاب

وحدها - أوه أي خوف! لقد كانت ناصعة البياض كالثلج، ترتجف وكأنها في طريقها إلى المقصلة. بيد أنها واصلت التسلق في عزم دون أن تلتفت خلفها. وكان من الجلي أنها صممت أن تتبين وحدها فيما إذا كانت ستستمع إلى تلك الكلمات العجيبة في أثناء غيابي.

وشاهدتها شاحبة الوجه منفرجة الشفتين، تمتطي الزاحفة وتغمض عينيها، ثم تندفع بها وكأنها تودع الأرض إلى الأبد.

ولست أدري هل سمعت نادنكا تلك الكلمات. كل ما أدريه أني شاهدتها تنهض من الزاحفة وقد بدت متخاذلة منهوكة. ولم يبد علي محياها ما ينبئ: أكانت قد سمعت شيئاً أو لم تسمع. فقد كان خوفها وهي تنحدر قد جردها من حاسة السمع أو تمييز الأصوات. فلم تؤد بها محاولتها الجبارة إلى حل ذلك اللغز اللطيف.. ولم تحاول مرة أخرى.

ثم أقبل شهر مارس... وكانت أشعة شمس الربيع أكثر حناناً وشفقة.. وتحولت هضبتنا الثلجية إلى لون قاتم، وفقدت بهاءها، وأخيراً ذاب الثلج وهجرنا الانزلاق: ولم يعد هناك ثمة موضع تستطيع فيه المسكينة نادنكا أن تستمع إلى تلك الكلمات وفي الحق، لا يوجد هناك من

يتفوه بها الآن، فالريح قد ولت، وكنت أن الآخر على أهبة الرحيل قاصداً بطرسبرج لأقيم فيه مدة طويلة بل لعلها تكون إقامة مستمرة.

وحدث قبل رحيلي بيومين أن كنت جالساً يغمرني الظلام في الحديقة الصغيرة التي يفصل بينها وبين فناء نادنكا حاجز مرتفع. . . كان الجو لا يزال بارداً، ولم يعتد هناك جليد. وبدت الأشجار وكأنما قد فارقتها الحياة. بيد أن رائحة الربيع كانت تضوع في كل مكان، والغربان تنعب في صوت جهوري أثناء استقرارها في عشها. وذهبت إلى الحاجز، ووقفت مدة طويلة أتبصص خلال فرجة بالحاجز. وفجأة شعرت بالوحشة تنتابني. وبدافع يدفعني إلى العدول عن الرحيل.

ثم شاهدت نادنكا تقبل نحو الطنف، وتحدج السماء بنظرة حزينة والهة. كان النسيم يهب على وجهها الشاحب فيذكرها بالريح التي كانت تزأر في وجهينا فوق الهضبة الثلجية عندما كانت تستمع إلى تلك الكلمات الثلاث. وكسا وجهها حزن بالغ وانحدرت الدموع على خدها، ومدت الطفلة المسكينة ذراعها كما لو أنها تتوسل إلى

النسيم أن يأتي بتلك الكلمات وفي هذه اللحظة همست قائلاً (إني أحبك يا ناديا!)

يا لرحمة الله! أي تغير ذلك الذي طرأ على نادنكا! لقد ندت عنها صرخة، ثم ابتسمت ابتسامة أشرقت على وجهها، وبدت تغمرها البهجة والسعادة والجمال. وجعلت تستقبل النسيم بذراعيها وذهبت أحزم أمتعتي. . .

كان ذلك منذ أمد بعيد. أما الآن فقد تزوجت نادنكا. . تزوجها سكرتير أحد النبلاء ولها الآن أولاد ثلاثة. .

ومع ذلك فإن ذكرى تلك الأيام التي كانت تذهب معي فيها للانزلاق، فتستمع إلى الريح تهمس إليها (إني أحبك يا ناديا!) هذه الذكرى لم تغب عن بالها مطلقاً، لأنها في عرفها أجمل وأسعد بل أكثر الذكريات تأثيراً في حياتها. .

بيد أن، وقد بلغت الآن من الكبر عتيا، لا أستطيع أن أفهم لماذا تفوهت بتلك الكلمات، وماذا كان باعثي على هذه المزحة!؟

اعتراف
كارك كابك

تحدث الأب فوق قس سانت ماثيو قائلاً - (أما علاج النفس فأنتم تعرفون أنه علاج من أقدم ما مارسه البشر. بيد أن الكنيسة تطلق على هذا الضرب من العلاج اسم (اعتراف التطهر المقدس). فعندما تضطهد النفس، وحينما ينتابها ما يشينها فاذهب أيها الآثم إلى كرسي الاعتراف المقدس، وأطرح عن نفسك كل الأوشاب العالقة بها. إن ما يدعونه الاضطراب العصبي ليس إلا ما نسميه نحن وخز الضمير والندم على ارتكاب المعصية.

(منذ سنين مضت، في يوم من أيام الصيف، كنت متخذاً ركناً من أركان كنيستي، قابعاً فيه من عناء الحر، وقد هبت علي نسمات باردة تلطف من حدة ذلك الوهج الشديد، عندما أقبل خادم الكنيسة وأخبرني بأن هناك من يود الاعتراف.

(بطبيعة الحال، قمت فارتديت حلة الكهنوت البيضاء. ثم جلست داخل مقصورة الاعتراف. وأحضر الخادم طالب

الاعتراف، فوقف أمامي خارج المقصورة التي تحجبني عنه. وأطللت عليه من نافذة المقصورة. كان رجلاً في خريف العمر يرتدي ملابس محترمة. وكان يبدو من هيئته أنه إما تاجر متجول أو وكيل شركة لبيع الأراضي. وكان شاحب الوجه، مفرط البدانة. وركع الرجل أمام المقصورة دون أن يفوه بكلمة.

وقلت أشجعه: هلم وردد معي: أنا الآثم التمس، اعترف إلى الله العظيم -

(فقاطعني الرجل قائلاً في صوت جهوري - كلا. فعندي كلام آخر أو د أن أفضي به. دعني أتحدث على طريقتي).

وفجأة، أخذ ذقنه يرتعش، وتصبب العرق من جبهته. وأخذت أنا الآخر، دون سبب ما، أشعر بإحساس غريب مخيف مقزز، لم يسبق من قبل أن انتابني مثله، إلا في ذات مرة عندما كنت حاضراً تشريح جثة، جثة كانت في حالة تامة من التعفن والانحلال. ولن أقص عليكم أيها السادة ما كانت عليه تلك الجثة.

(وصمت في دهشة وانزعاج - ماذا بك بحق السماء؟

(فتلعثم الرجل قائلاً - لحظة واحدة. لحظة واحدة.

(ثم ندت شفتاه عن آهة عميقة، وتمخط بصوت جهوري وأخيراً قال - إني على ما يرام الآن. حسن. منذ اثنتي عشر عاماً.

(ولن أحدثكم بما أخبرني به، فإنه من أسرار الاعتراف، فضلاً عن أنه كان حديثاً عن أفعال وحشية مخيفة تشمئز منها النفوس. مهما يكن من الأمر فإني لا أستطيع إعادة ما قاله الرجل من تفاصيل مفزعة ليس لها مثيل حتى في عالم الخيال. ودار في خلدي أن أهرب من المقصورة، أو أصم أدني عن سماع أقواله، أو أفعل شيئاً من هذا القبيل. وحشوت فمي بجزء من حلتي الكهنوتية حتى أمنع صيحة من الرعب تكاد تخرج مني. وأخيراً قال الرجل وقد تمخط في رضا وارتياح - حسن. الآن وقد انجاب عن صدري ذلك الأمر أقدم لنيافتك عظيم شكري.

(فقلت في دهشة - انتظر قليلاً. إنك لم تكفر بعد.

(فقال في غير كلفة وهو يحدجني بنظرة من خلال النافذة الصغيرة القائمة بيني وبينه - ومن تحسبني أيها الأب؟ إني لا أومن بمثل ذلك. ما جئت هنا إلا لأريح شعوري. أنت تعرف أنه عندما تنقضي علي مدة دون أن أتحدث عما اقترفته، عندئذ يتراءى لي فلا أستطيع النوم، وأعجز عن

إغماض عيني. وعندما أصل إلى هذه الحالة أراني مضطراً إلى الإفضاء بكل ما في قلبي. ولهذا السبب أتيت إلى هنا، لأن هذا من صميم عملك، ولأني أعلم أنك لا بد أن تحتفظ به في سريرتك. إنه سر الاعتراف. أما الغفران فإني لا أهتم به ولا قلامة ظفر. فهو لا يجدي إذا كنت عديم الإيمان. حسن. أرجو أن تتقبل شكري الجزيل واحترامي الزائد.

(وقبل أن أدرك ما الذي حدث كان الرجل قد خرج من الكنيسة يتهادى في رضاء.

(وبعد أن انصرم ما يقرب من عام عاد الرجل إلي مرة أخرى التقى به أمام الكنيسة وقد بدا شاحب الوجه، ذليلاً في مسكنه، وتلعثم وهو يقول - هل أستطيع أن أعترف لك يا صاحب النيافة؟

(قلت - اسمع. إنك لا تستطيع الاعتراف بلا غفران. إن هناك حداً لهذا. فإذا أنت لم ترغب في التكفير فإني لا أستطيع مطلقاً أن أفعل لك شيئا.

(فتنهد الرجل وقال وقد انحنى رأسه في ذله - يا إله السماوات. إن هذا نفس ما يقوله لي كل قس. ولا يوجد من أستطيع أن أعترف له، ولابد لي من الاعتراف. خبرني يا صاحب النيافة ماذا يهمك لو قلت لك مرة أخرى. . .

(وعندئذ أخذ يرتعد كما ارتعد من قبل. فصحت في دهشة وغضب.

- لماذا لا تفضي بما يجيش في صدرك إلى أي إنسان آخر؟

(فأجاب وقد قطب حاجبيه في اكتئاب - ويكون من جراء ذلك أن يشي بي.

(ثم صاح في غضب - فلتذهب إلى الجحيم.

(وغادرني وقد أفصح مظهره عن مقدار يأسه.

(ومنذ ذلك الوقت لم أره مطلقاً.

* * *

وقال الدكتور بادم المحامي: إن قصتك لم تنته بعد. ففي ذات يوم - وكان ذلك منذ بضع سنوات - حضر إلى مكتبي رجل شاحب الوجه، ناكس الرأس. وفي الواقع، لم أعر مظهره اهتماماً يذكر. وعندما طلبت منه الجلوس وسألته عن شأنه، أخذ يحدثني قائلاً - استمع إلي. إذا طلب منك أحد المترددين عليك استشارة سرية وأخبرك أنه قد ارتكب وزراً مثل...

فقاطعته قائلاً - إن طبيعة عملي تمنعني من استخدام سره في غير مصلحته.

فقال الرجل وقد ارتاح لحديثي: إذن فكل شيء على ما يرام. . هناك ما أود أن أفضي به إليك. منذ أربعة عشر عاماً. .

ولقد حدثني يا صاحب النيافة بمثل ما حدثك به، أخذ يفضي بمكنونات صدره وكأنه يكاد يختنق بها. وكان عرقه فياضاً، ووجهه قاتماً. وكانت عيناه مغمضتين. وبدا لي كما لو أنه قد غثيت نفسه، فصار يقذف من فمه بكل ما احتواه عقله من أسرار تقلق راحته. وأخيراً سمعته يتنهد ثم مسح شفتيه بمنديله.

وصحت قائلاً: يا إلهي! ليس في الوسع عمل أي شيء لك. . ولكن إذا أردت نصيحتي، نصيحة رجل يسديها إلى رجل مثله. .

فقاطعني ذلك المخلوق العجيب قائلاً في صوت أجش: كلا. أنا لا أود أية نصيحة. إني ما جئت إلا لأخبرك بما أفضيت به إليك. ثم أضاف قائلاً في لهجة خشنة - ولكن تذكر أنك لا تستطيع أن تنتفع بما حدثتك به في غير صالحي.

ثم هب واقفاً وقال في صوت هادئ النبرات - حسن - ما مقدار ما أنا مدين لك به؟

فتمتمت قائلاً: خمسون كراونا.

فأخرج الرجل خمسين ورقة نقدية، ثم حياني وخرج. وكنت أود أن أعرف عدد المحامين الذين تردد عليهم ذلك الرجل لاستشارتهم. . على أية حال لم يعد لزيارتي بعد ذلك.

وتحدث الطبيب فيتاسك قال (ومع ذلك فليس ما قلته خاتمة هذه القصة. فمنذ سنوات مضت كنت أعمل كجراح في مستشفى، عندما فحصت مريضاً شاحب الوجه بدين الجسم متورم الساقين في شكل مفرط. وكانت تنتابه التشنجات، وتضطرب أنفاسه. وفي الحق، كان في حالة فريدة من مرض برايت (مرض البول الزلالي) وكان بطبيعة الحال بعيداً عن كل أمل في الشفاء. . وعندما أقبل الليل أنبأتني الممرضة أن المريض قد داهمته نوبة تشنجية. وعندما ذهبت إليه وفحصته وجدته يجاهد في سبيل التنفس وقد تصبب منه العرق مدراراً، وجحظت عيناه رعباً. وكانت كل هذه الدلائل المخيفة تشير إلى نزع الموت.

(وقلت له - حسن. أيها الرفيق. سأحقنك وستكون بعد ذلك على ما يرام.

(فهز المريض رأسه ولهث قليلاً - دكتور أنا. . عندي ما يجب أن أفضي به إليك. . ابعد هذه المرأة.

(وكنت أود أن أحقنه بالمخدر، ولكني عندما شاهدت ما لاح في عينيه بعثت بالممرضة بعيداً، ثم قلت له - والآن أفض إلي يا بني بما تود أن تحدثني به، على ان تنام بعد ذلك.

(فتأوه الرجل وقد لاح في عينيه ثمة رعب جنوني ثم قال - يا دكتور، يا دكتور، إني لا أستطيع. . فلا زلت أشاهد ما اقترفت. . لا أستطيع النوم - يجب أن أخبرك -

(ثم أفضى إلي بكل شيء وسط تشنجاته وحشرجته ولهثاته. ودعوني أقل لكم أني لم أسمع من قبل بمثل ما حدثني به.

وهنا سعل المحامي. فقال الطبيب فيتاسك (لا تخف. فلن أقص عليكم ما حدثني به. إنه سر الطبيب. لقد رقد بعد حديثه متهالكاً، مجهداً تماماً. ولم أستطع أن أمنحه فرصة للتفكير أو أن أزجي إليه أية نصيحة. بيد أني أعطيته بضعة مقادير من المورفين، وجعلت أعطيه غيرها كلما استيقظ من غيبوبته حتى نام أخيراً نومته الأبدية. لقد منحته كأس المساعدة ممزوجة بالانتقام.)

فقال الأب فوفر مفكراً: (جميل منك ما فعلت. فقد خلصته على الأقل من بؤسه وشقائه.)

فراق
أيان تومسون

كانا يسيران في شارع أوكسفورد، ثم توقفا عن السير. وقال جورج ويده على ذراعها (هذا هو المكان أحسب أنك ستجدين هنا ما تودوين الحصول عليه)

وأطرقت هيلين، بيد أن عينيها كانتا ترنوان إلى نافذة الحانوت. لقد كان هو الذي اقترح شراء القبعة

وأشار صوب النافذة قائلاً - ها هي ذي القبعة السوداء. ما رأيت قيها؟ إنها تناسب رداءك

وارتجفت شفتاها. إن أشد يحبها فيه هو اهتمامه الزائد بملابسها. . لطالما ولد لها ذلك شعوراً بدوام الشباب، ولو أنها تعرف من صميم فؤادها بأن شبابها قد ولى وراح

وأجابت قائلة وقد تجنبت أن تلتقي عيناها بعينيه، فقد كان في عينيها الكثير مما لا تود أن يلاحظه مطلقاً. (أجل. إنها مناسبة)

ودلفا إلى الحانوت. وبرزت أمامها إحدى العاملات فوصفت لها هيلين القبعة. وفي هذه اللحظة ودت لو لم تأت

إلى الحانوت بيد أن جورج كان لحوحاً. فقد كان يود أن يهديها هدية ما، هدية فراق كما يقول

إنه يبتسم الآن، ابتسامة صادرة من عينيه الزرقاوين الصافيتين فأثار ذلك دهشتها. ومع ذلك، لماذا تدهش؟ وكانت تسأل نفسها هذا السؤال في الوقت الذي أخذت القبعة من يد العاملة ووضعتها فوق شعرها الذي تخلله الشيب. لقد كانت تفخر دائماً بأنها عصرية. إن من دواعي المدينة أن نواجه مثل هذه الحوادث في شجاعة عندما تقع، فإذا وقعت. . .

وعادت بها كرتها إلى الماضي. ورأت نفسها أمام المرآة ترفل في ثياب العرس، لا في رداء أسود كما هو حالها الآن. ولم تفكر في المستقبل إذ ذاك، ولم تهتم به مطلقاً، فقد كانت غارقة في منتهى السعادة

ومرت خمس دقائق قبل أن يخرجا من الحانوت ويسيراً تحت الشمس المشرقة. ثم اقترح جورج بعد أن ألقى بنظرة إلى ساعته أن يحتسيا الشاي، وقال وقد بدت في عينيه لهفة مكبوتة لم تستطع أن تسبر غورها (إني أعرف مقهى هناك. .

وجلسا في مقهى صغير عادي. وطلب جورج الشاي، ثم اتكأ على مقعده دون أن يتفوه بكلمة، ولكن يده أقبلت تعبر المائدة ثم أمسكت بيدها

وصاحت في أعماق نفسها - يا إلهي، لا تجعلني أبكي لا أود ذلك وهو معي - أقبل الشاي، واحتسى قدحه في سرعة، ثم أشعل لنفسه لفافة وأخيراً قال (أواثقة أنت أنك تودين الإقامة وحيدة في تلك الدار؟ أعني. . حسن، إني لأشعر بالضيق من جراء هذا الأمر، إذا كان هناك ما أستطيع أن أفعله. . .)

نعم كان هناك شئ واحد، ولكنه يعتبر ضعفاً لو اقترحته. وهزت رأسها بالنفي. إنها لا تود مطلقاً أن يشعر نحوها بشيء من وخز الضمير. حسبها أن كان لها طوال الأعوام المنصرمة

وقالت - كلا في الواقع سيكون كل شئ على ما يرام

ولكنه كان يبدو عليه أنه لا يزال متردداً في الأمر. ثم قال: هناك شئ واحد أود أن أشير إليه. إني لم أتحدث عنه من قبل لأني أعرف - حسن، أعرف أن شديد حساسيتك في مثل هذه الموضوعات -) ثم صمت لحظة استطرد بعدها يقول

في سرعة وعينيه تتحاشيانها) إنها مسألة النقود. لقد اتفقت مع البنك -)

والتهبت وجنتاها. وتلمثمت قائلة - أوه. جورج. لا ينبغي لك أن - فقاطعها قائلاً في رنة يشوبها الغضب - ولم لا؟ إن هذا ما ورد أن أفعله. وساندرا -) وتردد قليلاً بعد أن أشار إلى اسم الفتاة ثم قال - إنها وافقتني على ذلك. فقد كنا نتحدث عنه ليلة أمس

ساندرا. . كنا. . . وجعلت هيلين تفكر في ألم، إنه يتحدث عنها في سهولة وبغير كلفة، مع أنه لم يلتق بها إلا منذ شهرين. شهران. . هل كانا في الواقع شهرين منذ أن ذهب إلى لندن بسبب أعماله؟

لقد أدركت بالطبع بعد أن عادت أن هناك شيئاً ما على الرغم من أنه لم يشر إليه بأنة كلمة. وأنباتها غريزتها النسائية أنه لم تعد لها كلمة بعد الآن. لقد شاركتها الأخرى فيه. شاركتها فتاة، شابة، نضرة، حسناء، وولدت لها الصورة التي تخيلتها شعوراً من الفلق والفزع. لقد استبدل عمله بعمل آخر في لندن. وذهب ليعيش هناك. ولم تره منذ شهر، ولم تلتق الفتاة مطلقاً.

ساندرا. . لقد كانت ذكية جداً كما حدثها. ولكن هذا لا يهمها في شئ. فإذا كنت تحب بكل جارحة في قلبك فإنك لا تفكر في ذكاء تلك التي جعلتك تفقد من أحببت. هل هي لطيفة حقاً؟ وهل ستحاول إسعاده كما حاولت هي من قبل؟

ساندرا. . . كان للاسم رنين خاص في أذنيها. إنك لا تستطيع أن تتصور أي فرد يحمل ذلك الاسم - وانجذبت عينا هيلين إلى فتاة دلفت إلى المقهى وجعلت تتطلع حولها في تردد - حسن لعلها تحمل مثل هذا الاسم

واستدارت الفتاة. كانت باهرة الحسن. ساخرة، في حياء يجذب القلوب. وتأملتها هيلين بلا شعور. ثم اتسعت عيناها في دهشة مباغتة عندما هب جورج واقفاً وأسرعت الفتاة صوب مائدتهما

واستمعت إلى صوت في ذهول وهو يقول (إذن فقد استطعت المجيء يا عزيزتي)

ثم التفت إليها وقد أشرفت الابتسامة على وجهه وقال (مفاجأة صغيرة. هذه ساندرا يا أماه. . . عروس الغد السعيدة!